

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لوئيسي على - البليدة 2 -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية " الأمير خالد الجزائري "

قسم العلوم الانسانية - شعبة التاريخ -

- مطبوعة بيداغوجية -

التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي

الأصول، النشأة والتطور

(من القرن 02هـ / 08م الى القرن 07هـ / 13م)

الدكتور مراد تجنانت

المقياس: التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي.

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

المستوى: السنة الثانية ماستر (ل. م. د).

السنة الجامعية: 2022 - 2023

المقدمة

تتضمن هذه المطبوعة البيداغوجية المحاضرات التي تلقى على طلبة السنة الثانية ماستر، الطور الثاني من نظام (ل. م. د، ليسانس، ماستر، دكتوراه)، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، جاء هذا المقياس المقرر الخاص بالتخصص تحت عنوان: التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وستغطي هذه المحاضرات الفترة الزمنية التي تمتد من القرن الثاني للهجرة/ 8م الى القرن السابع للهجرة/ 13م أي المرحلة من مرحلة ما بعد الفتح الاسلامي الى عهد الدولة الموحدية.

يشكل الصوفية بمختلف تياراتهم جزءا من حركية المجتمع في مسار التاريخ الاسلامي، الى جانب مختلف الأطياف الاجتماعية، يتقدمهم أرباب السلطة والمال ومجتمع العلماء، وعالم الأدباء والشعراء، والقاعدة الواسعة من الحرفيين والتجار والفلاحين، ولكل فئة عالمها المتميز ولكنها في نفس الوقت تبقى تتفاعل مع باقي الأطياف في انتاج الزخم الحضاري للمجتمع عبر مختلف العصور.

سيأخذ البحث مسارا ينطلق بتقديم المفاهيم العامة للتصوف كخطوة ضرورية لفهم بعض مصطلحات المحورية، ثم سننطلق في عرض الجذور التاريخية للتصوف، فتكون البداية من حياة الزهد منذ البعثة النبوية التي أظهرت الآيات الأولى المنزلة على النبي ﷺ أهمية العناية بالجانب الروحي في حياة الانسان الذي ستوجهه حتما صعاب ومكاره وإغراءات جمّة في كل مسار حياته.

من الآيات التي تحمل معاني التزود الروحي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ * فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ و قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾¹

1 - سورة المزمل الآيات 1-7 وسورة المدثر 1-7.

كان قيام الليل والمواظبة على الصيام وسلوك حياة التقشف في الملبس والمسكن والمركب جزءا مهما ملازما لحياة الصحابة والتابعين ، الذين لم ينقطعوا وهم يعيشون حاتم عن القيام بمختلف الأعمال الدنياوية اليومية وأخذ نصيبهم في كسب المعاش والاجتهاد في طلب العلم وبناء الأسرة وتربية وإنجاب الأولاد ونيل ما أحل لهم أو بيع من متاع ، هذا السلوك الفردي والجماعي هو الذي ميّز الحياة اليومية لهذه الأجيال الأولى من المسلمين .

سنشرح بعد ذلك التطور الذي نقل فئات اجتماعية متنوعة من الحياة الزهدية التي كان عليها للأولون في المشرق و المغرب الى زهد جنح أصحابه ممن وُصفوا بالعارفين و الزهاد و العبّاد الى حياة أكثر تفرغا للعبادات والانقباض عن المجتمع ، و سنبين كيف سينشق من سلوك العبّاد و الزهاد ما صار يُعرف بالتصوف كعلم للتركيز و التصفية لما اجتهد شيوخ الصوفية على استنباط أدلة مشروعيتها و وضع مناهجه، هذا التصوف الأول الذي اعتبره عدد غير قليل من العلماء المسلمين تصوفا سنيا كونه بقي قريبا في عمومته من زهد الصحابة و التابعين، هذا قبل ظهور فرق صوفية كان لها اجتهاداتها الخاصة و متنوعة في الوصول الى ما يروونه أعلى مراتب تصفية الروح ، فأخذت من مناهج الفلسفي و علم الكلام و التأويل الباطني أدوات الى غاياتهم .

سنبرز مختلف المدارس والتيارات الزهدية والصوفية في بلاد المغرب والأندلس التي هي بدورها تشعبت الى فرق أخذ بعضها سبيل التصوف الكلامي والبعض الآخر طريق الفلاسفة والتفسير الباطني ، وسنذكر أشهر أعلامها وآراء شيوخها وطرائقها في التصوف .

تم الاعتماد في هذا العرض على المنهج السردى بتعريف رواد التصوف وأشهر أعلام كل فرقة والمناهج والأفكار التي قامت عليها وأتبعنا ذلك بالتحليل المدعم بالنصوص التاريخية المصدرة التي يجب عرض بعضها للمناقشة أثناء المحاضرة حتى تجعل الطالب يستوعب الأحداث التاريخية من خلال عرض أصولها القريبة، بحيث:

أولا: تمكنه من معرفة ورصد وجمع أهم المصادر التاريخية المرتبطة بالموضوع الذي يتم مناقشته،
ثانيا: تبث فيه الوعي بأن منهج البحث التاريخي وفهم الأحداث التاريخية يقومان أساسا على الاطلاع على النصوص المصدرة ثم نقدها وتحليل محتواها أثناء المحاضرة
ثالثا ؛ تضع الطالب من خلال عرض النصوص المصدرة في قلب الواقع التاريخي .

تم الرجوع زيادة على المصادر التاريخية التقليدية الى مجموعة هامة من المراجع، واجتهدنا في الاعتماد على الاعمال التي أنجزها الباحثون على المستوى الوطني خاصة لما تعلق الموضوع بالمغرب الأوسط.

قسمت العرض الى أربع عشرة محاضرة بين مقدمة وخاتمة استنتاجية :

المحاضرة رقم 01: تمهيد وتعريفات.

المحاضرة رقم 02 :من الزهد الى التصوف في المشرق.

المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/10م.

المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العبّاد والمتصوفة.

المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضيين في بلاد المغرب.

المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

المحاضرة رقم 07 : من الزهد الى التصوف في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

المحاضرة رقم 08: الجماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس (جماعة التصوف الليبيرية، جماعة التصوف المعوية).

المحاضرة رقم 09 : التيار الصوفي الفلسفي في الأندلس (مدرسة ابن مسرة).

المحاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبداية العهد الموحيدي بالأندلس.

المحاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي(558-638هـ) بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق.

المحاضرة رقم 12: التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

المحاضرة رقم 13: التيار الصوفي العرفان في بلاد المغرب والأندلس.

المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب .

المحاضرة رقم 01: تمهيد وتعريفات.

المقدمة.

تتضمن هذه المحاضرة تعريفات عامة حول المصطلحات المفتاحية في موضوع المتصوف

1. تعريف الزهد .

1.1 تعريف الزهد لغة. الزهد لغةً ترك الشيء والميل عنه والزهد ضد الرغبة، فيقال زهد زهدا وزهادة في الشيء بمعنى أعرض عن الأمر إما احتقارا وتصغيرا له ¹، والزَّاهِد في الدين هو المعرض عَنِ الدُّنْيَا ولذاتها ، ويقال "زهد في الدنيا بمعنى تعفف عن حلالها مخافة الحساب وترك حرامها مخافة عقاب" ².

قال عالم اللغة جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711 هـ / 1311 م) ((لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة وهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا)) ³.

لم ترد كلمة الزهد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى عن قصة يوسف وأخوته ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ⁴ وفسر عالم اللغة محمود بن عمر الزَّخَّشَرِي (467 - 538 هـ / 1075 - 1144 م) " باعوه بِثَمَنٍ بَخْسٍ ناقص ، أو زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعدّ

1- إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمّد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة. ج 1 ص 403.

2 - نفس المرجع، ج 1 ص 403.

3 - ابن منظور محمّد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ/1311): لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت 1414 هـ . ج 3 ص 196.

4 - سورة يوسف الآية 20.

عدًا ولا توزن" ¹؛ أما الآيات التي يُفهم منها حث المسلمين على الزهد فهي كثيرة كقوله تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ².

لم يُوصف النبي ﷺ بصفة الزهد وإن كان الزهد من خلقه وصفة الملازمة له في تعامله مع ربه ونفسه ومع جميع الناس ، و"كان ﷺ جامعا لصفات الخلق متزنا في سلوكه بين السمو الروحي والحاجات الدنيوية"، وقد جمعها الامام الترمذي في مصنفه الشمائل المحمدية ³.

هناك أحاديث نبوية أوصت المسلمين بالزهد في الدنيا منها قوله ﷺ مرفوعا عن عبد الله بن عمر ((صَلِّحْ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَهَلَاكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ)) ⁴، وقد خرّجه عدد من رجال الحديث منهم الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد وأبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) في المعجم الوسيط وأبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي في فتح الباري شرح صحيح البخاري وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها.

2.1. زهد الصحابة. وُظفت كلمة الزهد لوصف حالة عدم انغماس الصحابة في زينة الحياة الدنيا و الترفع عنها، فخص صاحب كتاب الجامع للعالم المحدث أبي عروة البصري معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي نزيل اليمن (ت 153هـ/770م) بابا بعنوان في زهد الصحابة مما جاء فيه ((قدم علينا عمر بن الخطاب وإذا عليه قميص من كرايس فأعطانيه وقال : " اغسله وارقعهِ " قال : فغسلته ورقعته ، ثم قطعت عليه قميصا قبطيا ، فأثيته بهما جميعا فقلت : هذا قميصك ، وهذا قميص قطعت عليه لتلبسه ، فمس به بيده فوجده لنا ، فقال : "

1 -الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ/1143م): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1407 هـ. ج 2 ص 452، 453.

2 - سورة الحديد الآية 23.

3 -أنظر ما يتعلق بشخص النبي ﷺ خلقا وخلقا الترمذي محمّد بن عيسى بن سَورة (ت 279هـ/892م):الشمائل المحمّدية، تحقيق سيد بن عباس الجليبي، ط1، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة 1413هـ/ 1993 م.

4 - البهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ): شعب الإيمان ، تحقيق ومراجعة وتخرّيج مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد، ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند 1423 هـ / 2003 م. ج 13 ص 290.

لا حاجة لنا فيه ، هذا أنشف للعرق منه))¹ ، و نقل عبد الله بن المبارك عن سفيان (الثوري) عن حجاج بن فراصة عن الصحابي بُدَيْل بن ورقاء بن عبد العزي بن ربيعة قوله ((من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن))².

3.1. بعض مراتب الزهد. قسم ابن تيمية وقيل أحمد بن حنبل الزهد الى ثلاث مراتب³: ترك الحرام وهو خاص بالعوام من الناس، وترك فضول من الحلال وهو زهد الخواص، وترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين.

وقال ابن تيمية أن السلف كانوا يسمّون أهل الدين والعلم (القراء) فيدخل فيهم العلماء والنسك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء⁴

2. تعريف الولي والعارف.

1.2. تعريف الولي. ورد المصطلحات في القرآن في قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁵ ، والولي هو النصير، وفي المعجم الكبير للطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

1- أنظر معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (ت 153هـ): الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت 1403 هـ. ج11 صص 310-314.

2- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت 181هـ): الزهد والرقائق لابن المبارك ، تحقيق وتعليق أحمد فريد، ط1، دار المعارج الدولية للنشر الرياض المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1995م. مج 1 ص 241.

3- الفيروزآبادي مجد الدين محمّد بن يعقوب (ت 817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمّد علي النجار، (د ر ط) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. 1416 هـ - 1996 م. ج3 ص 139 وعبد الرؤوف زين الدين محمّد القاهري (ت 1031هـ): الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، دار ابن كثير دمشق- بيروت (د ت ن). ص 166.

4 - ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ): الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (د ر ط) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق 1405 هـ / 1985 م. ص ص 51، 52.

5 - سورة يونس، الآية 62-64

قَالَ ((يَذْكُرُ اللَّهُ بِرُؤُوسِهِمْ))¹، وفي سنن أبي داود ((هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس))². عرّف الفقيه الشافعي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الوليّ بقوله ((أهل ولايته المستحقون لكرامته ، أو الذين آمنوا وكانوا يتقون، أو الراضون بالقضاء والصابرون على البلاء والشاكرون على النعماء، أو من توالى أفعالهم على متابعة الحق، أو المتحابون في الله تعالى))³؛ و جاء في فتح الباري لابن حجر العسقلاني ((لما كان وليُّ الله من تَوَلَّى الله بالطاعة والتقوى تولاهُ الله بالحفظ والنصرة))⁴، وعمّ استعمال كلمة الولي عند المسلمين بمعاني متنوعة منها ما يطلقه الأتباع والمريدون على من يعتقدون فيهم الصلاح ويرونه من أصحاب الكرامات أو الخوارق.

2.2. معنى العارف بالله تعالى. هو المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات⁵، وهو المستغرق في معرفة الله ومحبته، العارف بأسمائه، وصفاته، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات⁶.

جاء عند الفقيه القاضي محدث أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ) في وصف شيخه صفي الدين أحمد بن محمد الأنصاري المدني فقال ((شيخنا العارف بالله صفي الدين أحمد بن محمد الأنصاري المدني قدس سره))⁷.

-
- 1- الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ): المعجم الكبير، (ط1) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1415 هـ - 1994 م. ج 12 ص 13.
 - 2- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بلي، ط1، دار الرسالة العالمية (د م ن) 1430 هـ - 2009 م. ج 5 ص 387.
 - 3 - عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ): تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم - بيروت 1416هـ / 1996 م. ج 2 ص 72.
 - 4 - ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ، تحقيق وتخرّيج محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ / 2004 م. ج 11 ص 343.
 - 5- محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية بيروت. 1424هـ - 2003 م. ص 240.

- 6- سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط2، دار الفكر. دمشق - سورية 1408 هـ / 1988 م. ص 390.
- 7- أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ): كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخرّيج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، ط1، المكتب الإسلامي (د م ن)، 1400هـ / 1980 م. ص 5.

3.2. تعريف الطريقة. استعمل صاحب كتاب الرسالة القشيرية عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (376 - 465 هـ / 986 - 1072م) كلمة الطريقة للدلالة على منهج يقوم عليه التصوف ويسير عليه السالك، فقال ((وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجدهم، وكيفية ترقيتهم من بدايتهم إلى نهايتهم)) ووصف القشيري الجنيد بسيد الطريقة¹.

3. تعريف التصوف.

1.3. التعريف اللغوي. قد تكون كلمة التصوف عربية مأخوذة من الصفة وهم مجموعة من فقراء الصحابة كانوا يقيمون قرب المسجد النبوي فينفق عليه الرسول ﷺ من الصدقات ويطعمهم و يكسوهم، نقل الصوفي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي (ت 384هـ/994م) صاحب كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ((إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقال قوم إنما سموا صوفية للبسهم الصوف))²، و نقل القشيري قول الصوفي أبو سليمان الداراني الدمشقي (ت 215 هـ / 830 م) الذي استعمل كلمة الصوف للدلالة على التصوف ((الصوف علم من أعلام الزهد، فلا ينبغي أن يلبس (الصوفي) صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم))³ ، و قيل أن الكلمة مشتقة من الصوف، لأن المتصوفين كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف ، نسبت كلمة الصوفية إلى صفوة الفقهاء. وقيل تنسب الى صوفة بن مر ابن أد بن طابخة، وهي قبيلة من العرب، يُعرفون بالنسك ، وقيل إنها أطلقت على أهل صفاء السرائر، وقيل هم الصفوة من المسلمين، وقيل إنها تعود إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى⁴

2.3. هل هناك أصل يوناني للتصوف. أعاد البعض كلمة الصوفية لأصل يوناني منهم رياضي وفيلسوف أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (262 - 440 هـ / 973 - 1047 م) في هذا الربط و التشبيه يقول البيروني ((ومنهم) يقصد الفلاسفة اليونانيين) من كان يرى الوجود الحقيقي لعلّة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها

1 - القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ط1، دار المعارف، القاهرة 1995. ج1 ص ص 17، 19.

2 - الكلاباذي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاري الحنفي (ت 380هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف، (د رط) ، دار الكتب العلمية بيروت (د ت ن). ص 21 .

3 - القشيري، المصدر السابق، ص 241.

4 - أنظر نفس المصدر، ج 2 ص 440 وابن تيمية ،الفرقان المصدر السابق، ص ص 50، 51.

فيه وحاجة غيرها إليها وأنّ ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالحيال غير حقّ والحقّ هو الواحد الأوّل فقط، وهذا رأي السوفيّة وهم الحكماء فإنّ «سوف» باليونانية الحكمة وبها سمّي الفيلسوف «بيلا سوبا» أي محبّ الحكمة؛ ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمّوا باسمهم ولم يعرف القلب بعضهم فنسبهم للتوكّل إلى «الصفّة» وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ¹.

3.3. رأي القشيري في هذه التسميات. ناقش القشيري هذه التسميات بقوله ((...وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق والأظهر فيه أنّه كالقلب فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: قمص إذا لبس القميص فذلك وجه لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال: إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأوّل بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق وتكلم الناس في التصوف ما معناه وفي الصوفي من هو فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على حد التلويح إن شاء الله تعالى))².

4.3. تعريفات عن التصوف وأحوال المتصوفة. عرّف العالم المفسر فخر الدين الرازي (ت 606هـ/1209م) أحوالهم على ثلاث مراتب فقال ((ولأن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنيّة وهذا طريق حسن وهم فرق:

- الأولى أصحاب العبادات وهم قوم مُنتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الحرقة وتسوية السجادة
- الثانية أصحاب العبادات وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال

1 - البيروني محمّد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، ط1 دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الهند 1377هـ/1958م. ص ص 24، 25.

2 - القشيري المصدر السابق. ج 2 ص 440. من الذين شرحوا المصطلح من المعاصرين أنظر المستشرق لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، ترجمة إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1، دار الكتب اللبناني بيروت 1984. ص 28 وفاطمة الزهراء دواد، التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله، مجلة حوليات القرآن جامعة مستغانم العدد 01 سنة 2004. ص ص 78، 79، و عبد الله حسن زروق: أصول التصوف، المركز القومي للإنتاج الاسلامي، أفريل 1994. ص ص 24، 25.

● الثالثة أصحاب الحقيقة وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يتشغلوا بنوافل¹

وقال الفيلسوف وعالم اللغة الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ/1413م) ((التصوف مذهب كله جد. فلا يخلطونه بشيء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله ﷺ في الشريعة، وقيل: ترك الاختيار، وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود، وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك، وقيل الإعراض عن الاعتراض، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا، وقيل الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل خدمة التشرف، وترك التكلف، واستعمال التظرف، وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإيأس مما في أيدي الخلائق))².

عرف الغزالي التصوف بقوله ((اعلم أن السلوك هو تهذيب الاخلاق و الاعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر و الباطن و البدن في جميع ذلك مشغولا عن ربه، إلا أن المشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول ، والذي يفسد على السلوك سلوكه شيان : اتباع الرخ بالتأويلات، والافتداء بأهل الغلط من متبعي الشهوات ... لا تصح ارادة المريد حتى يكون الله و رسوله وسواس قلبه و يكون نهاره صائما و لسانه صامتا لان كثرة الطعام و الكلام و المنام تقصي القلب و ظهره ، راعا و جهته ساجدة و عينه دامعة غاصة و قلبه حزينا و لسانه ذاكرة))³.

1 - فخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت 606هـ/1209م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (در ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية 1982 بيروت. ص 72.

2 - الجرجاني علي بن محمد (ت 816هـ/1413م): كتاب التعريفات، تحقيق وصححه جماعة من العلماء ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان 1403هـ/1983م. ص ص 59، 60.

3 - أبو حامد الغزالي الطوسي (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م): روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق محمد بخيت، (در ط)، دار النهضة الحديثة بيروت 1900. ص ص 22، 23. أنظر بقية النص، ص ص 24، 25، 26.

ورد مصطلح الصوفي في كتاب البيان والتبيين للجاحظ (في وصفه لرجل من الزهاد) بذكره باسم أبي هشام (ت160هـ) يقول ((رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلا من جهة النهر، فقلت: في أي شيء كنت اليوم؟ قال: في تعلم ما ليس ينسى، وليس الشيء من الحيوان عنه غنى. قال: قلت وما ذاك؟ قال: السباحة))¹.

الاستنتاج.

يبقى وضع تعريف شامل متفق عليه للتصوف أمرا صعبا، يرجعه ابن خلدون لعاملين:

الأول أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية التقنيين العلمي بل وصف أحوالهم الخاصة.

الثاني أن كلمة تصوف في حد ذاتها اكتسبت مع الوقت معاني جديدة ميز بعضها وتعريفات أبعدتها عن مفهوم الزهد الذي كان عليه الصحابة سلف من أعلام الأمة.

1 - الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب(ت255هـ) البيان والتبيين، تحقيق علي بو ملحم، (د ر ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت1423هـ/2002م. ج2 ص ص 124، 292.

المحاضرة رقم 02 :

من الزهد الى التصوف في المشرق

المقدمة.

انطلاقاً من قول القشيري الذي يبين أن الصحابة لم يوصفوا إلا بصفة نسبتهم للنبي ﷺ بالصحة نطلق في هذه المحاضرة بتحليل الطريق الذي انتقل فيه طائفة من أهل العلم خاصة من الزهد الذي كان صفة ملازمة للصحابة الى التصوف الذي صار صفة يقصد بها فئة من المجتمع .

1. الزهد صفة ملازمة للصحابة .

قال الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه ((أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَوْمًا وَصَلَاةً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ قَالُوا " لِمَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ " ، قَالَ " لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَرْعَبَ فِي الْآخِرَةِ "))¹.

مدحهم المولى عز وجل الصحابة. فقال ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۖ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ۲

قال الصحابي قتادة بن النعمان (ت 23 هـ / 644 م) ((رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، تَرَاهُمْ سُجَّدًا تَرَاهُمْ رُكْعًا أَحْيَانًا اللَّهُ فِي صَلَاتِهِمْ سُجْدًا أَحْيَانًا، يَتَتَعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ يَلْتَمِسُونَ

1 - ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ): الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط1، دار الكتب العلمية، 1408هـ / 1987م. ج 2 ص 140.

2 - سورة الحجرات، الآية 29.

بركوعهم وسجودهم وشدّتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضاً، فضلاً من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته ورضواناً وأن يرضى عنهم رحم)¹.

جاء في تفسير ابن كثير ((وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة. وهي خير لأعمال، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ، عزّ وجلّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول))².

قال العالم المفسر محمد علي الصابوني ((تراهم أيها السامع راكعين ساجدين من كثرة صلاتهم وعباداتهم، رهبأت بالليل أسودّ بالنهار {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} أي يطلبون بعبادتهم رحمة الله ورضوانه))³.

عن أنس بن مالك ((رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَوْمِيذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ رَفَعَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِرِقَاعٍ ثَلَاثٌ لَبَدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ))⁴، وعن الحسن بن علي، قال ((دَخَلَ سَلْمَانُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَاتِحٌ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا فَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهَا إِلَّا بَلَاغًا))⁵.

زهد الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب. كان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج، وكان كثير الصدقة، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، و نقل المؤرخ عز الدين ابن الأثير أن الصحابي عبد الله بن عمر "إِذَا اشْتَدَّ عَجْبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ قَرِبَهُ لِرَبِّهِ"⁶ ، و دخل ابنُ عُمَرَ الكعبة، فَسَمِعَ، يَقُولُ: ((قَدْ تَعْلَمُ يَا رَبِّي مَا يَمْنَعُنِي مِنْ مَزَاوِجِ قَرِيْشٍ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا خَوْفُكَ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

1 - الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الجيزة مصر 1422 هـ / 2001 م. ج 21 ص 321.

2 - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع مدينة نصر القاهرة، 1420 هـ / 1999 م. ج 7 ص 361.

3 - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. 1417 هـ / 1997 م. ج 3 ص 211.

4 - مالك بن أنس (ت 179هـ): الموطأ، تصحيح وتحقيق وتخرّيج محمد فؤاد عبد الباقي، (د ر ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان 1406 هـ - 1985 م. ج 2 ص 218.

5 - أبو داود سليمان بن الأشعث (ت 275هـ): الزهد لأبي داود السجستاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم ، غنيم بن عباس وراجعه: محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط1، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، 1414 هـ / 1993 م. ص 57.

6 - ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1 ، دار الكتب العلمية 1415 هـ - 1994 م ج 3 ص 336.

لِذِكْرِ اللَّهِ ﴿بَكَى حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ¹، وَ يَبْدُو أَنْ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَخْتِهِ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ((إِنَّ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ)) قَدْ دَفَعَهُ إِلَى الْمِيلِ لِحَيَاةِ الزُّهْدِ ، فَمَا تَرَكَ ابْنُ عُمَرَ بَعْدَهَا قِيَامَ اللَّيْلِ، نَافِعٌ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ الْكَعْبَةَ فَسَمِعْتَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ وَهُوَ يَقُولُ: «قَدْ تَعَلَّمُ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ مَزَاحِمَةِ قَرِيشَ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا خَوْفُكَ». وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَلْزِمَ لِلْأَمْرِ الْأَوَّلِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ. قَالَ: وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا أَحَدٌ إِلَّا مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا، إِلَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ» وَكَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ خَرَجَ عَنْهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَانَ رِمَا تَصَدَّقَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا وَكَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ مَا يَأْكُلُ فِيهِ غَلَّةَ لَحْمٍ، وَمَا مَاتَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ أَوْ أَكْثَرَ².

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ. أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِيهِ وَكَانَ يَدَاوِمُ عَلَى الصَّوْمِ وَلَا يَنَامُ اللَّيْلَ فَشَكَاهُ أَبُوهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَزَوْجُكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَقُمْ وَنَمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ» قُلْتُ: وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: «لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ» ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ الْكُحْلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَقَالَتْ: ((وَإِنَّهُ كَانَ لَيَقُومُ اللَّيْلَ فَيُطْفِئُ السِّرَاجَ فَيَبْكِي حَتَّى مَرَضَتْ عَيْنَاهُ))³

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَانَ صُومًا قَوْمًا قَالَ التَّابِعِيُّ عُمَرُ بْنُ دِينَارٍ (ت 126هـ) ((مَا رَأَيْتُ مُصَلِّيًا قَطُّ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ ((كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عَوْدٌ ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَلِكَ مِنَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ)) ، وَقَالَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا ذَكَرَ عِنْدَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ((كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَوَّامَ اللَّيْلِ، صَوَّامَ النَّهَارِ، وَكَانَ يُسَمَّى: حَمَامَ الْمَسْجِدِ))⁴.

2. زهد التابعين.

كَانَ التَّابِعُونَ عَلَى خَطَى الصَّحَابَةِ، يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَحَيَاةِ الزُّهْدِ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ ، لَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ وَالْبُكَاءُ الْمُسْتَمِرُّ، نَذَرَ مِنْهُمْ:

1 - نفسه.

2 - الدِّبَاغُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الْأَسِيدِيِّ (ت 699 هـ): مَعَالِمُ الْإِيمَانِ فِي مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْخِيَالِيِّ، ط1، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، مَنَشُورَاتُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بَيْضُونٍ بَيْرُوتَ 1426 هـ. (1/ 101، 102)

3 - مَعَالِمُ الْإِيمَانِ فِي مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ (ط الْعِلْمِيَّةِ) (1/ 127)

4 - أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ت 430 هـ): حُلِيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ، (د رط) السَّعَادَةُ - بِجَوَارِ مَحَافِظَةِ مِصْرَ، 1394 هـ - 1974 م. ج 1 ص 335.

صفوان بن سليم(132هـ/749م) مولى عبد الرحمن بن عوف، قال عنه المؤرخ ابن سعد في الطبقات ((كان ثقةً كثير الحديث عابداً))¹، وجاء في كتاب مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار للمحدث محمد بن حبان الدارمي أنه ((من عباد أهل المدينة))²،

منهم في البصرة طلق بن حبيب العنزي (ت قبل 100هـ/718م) من كبار العاملين، وعطاء السليمي البصري (ت بعد 140هـ/757م) العابد وهو من صغار التابعين أدرك أنس بن مالك وسمع والحسن البصريجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي ((بكى حتى عمش وربما غشي عليه عند الموعظة))³.

من الكوفة الأسود بن يزيد بن قيس التَّحِيّ، الفقيه روى الحديث عن الصحابة معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وبلال بن رباح وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وعائشة رضي الله عنهم، قال الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي أنه كان على أمر كبير من العبادة والحج فحج من بين ثمانين حجة وعمرة، وأضاف مؤكداً أنه كان صواماً قوماً حجّاجاً⁴.

من جرجان أبو عبد الله كرز بن وبرة الحارثي كوفي دخل جرجان غازياً مع الأمير بن المهلب بن أبي صفرة سنة 98هـ/716م، ثم استقر هناك وبنى بها مسجداً، عُرف بالزهد والعبادة مجتهداً فيها، ورعا مقبلاً على الصلاة⁵، جاء في سير أعلام النبلاء((له الصيت البليغ في النسك والتعب))⁶.

قال الذهبي "هكذا كان زهاد السلف وعبادهم أصحاب خوف وخشوع وتعب وقنوع لا يدخلون في الدنيا وشهواتها ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والاتحاد"¹.

1 - ابن سعد الله محمد بن سعد بن منيع(ت: 230هـ):الطبقات الكبرى، ط1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت 1410 هـ - 1990 م. ج5 ص417.

2 -الدارمي محمد بن -حبان البستي (ت 354هـ): مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة 1411 هـ - 1991 م. ص 216.

3 -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة 1427هـ-2006م. ج6 ص247.

4 - الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي 2003 م. ج2 ص789.

5 - الجرجاني حمزة بن يوسف السهمي القرشي (المتوفى: 427هـ): تاريخ جرجان، ط4، تحقيق تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان عالم الكتب - بيروت 1407 هـ - 1987 م. ص 336.

6 - الذهبي، المصدر السابق، ج6 ص247.

من بلخ إبراهيم بن أدهم من حياة الترف الى حياة الزهد، وأبو إسحاق إبراهيم بن أدهم التيمي البلخي ، نسبه القشيري لأبناء الملوك (ت 161 هـ / 778 م) ، وصفه الذهبي في تاريخه بالقدوة، الإمام، العارف، سيّد الرّهّاد، وقال النسائي ((ثقة، مأمون من الزهاد... وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة)) وصحب بمكة التابعيين سفيان الثوري والفضيل بن عياض، كان بلخ بن إبراهيم الزاهد يأكل من عمل يده مثل الحصاد والعمل في البساتين².

3. ظهور التصوف والطبقة الأولى الذين عدوا من الصوفية.

1.3. أول من أظهر التصوف. قال ابن تيمية أن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة، وأول من بنى دوية الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (ت بعد سنة 150 هـ)³ هو من أصحاب العالم التابعي الحسن بن يسار البصري (21 - 110 هـ / 642 - 728 م)⁴، وأضاف ((وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية))⁵، يمكن القول من خلال ما ذكره ابن تيمية أن الصوفية تكون قد ظهرت في أواخر النصف الأول من القرن الثاني هجري/8 م.

2.3. ممن ذكروا في هذه الطبقة الأولى من الصوفية. ودون القشيري نحو نحو 84 علما من الأعلام عدّهم من المتصوفة⁶، في مقدمتهم أبو الفيض ذو النون المصري واسمه ثوبان بن إبراهيم، أو الفيض بن إبراهيم، كان أبوه من بلاد النوبة (ت 245 هـ)، قال عه ابن تيمية أنه كان ((فائق هذا الشأن وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا، سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكي المتوكل وردّه إلى مصر))⁷.

1 - الذهبي نفس المصدر ، ج 6 ص 246.

2 - القشيري، المصدر السابق، ج 1 ص 40، 41.

3 - قال البخاري والنسائي: متروك الحديث.. وقال ابن حبان: كَانَ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ حَتَّى غَفَلَ عَنِ الْإِتْقَانِ فَكَثُرَتِ الْمَنَاقِبُ فِي حَدِيثِهِ. سير أعلام النبلاء ط الحديث (587 / 6)

4 - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416 هـ/1995 م. ج 11 ص 6.

5 - ابن تيمية: مجموع الفتاوى. ج 11 ص 6.

6 - نس المصدر، ج 1 ص 34-150.

7 - نفس المصدر ، ج 1 ص 38.

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي (ت 253 هـ / 867 م) الزاهد المتحدث ، وأحاديثه قليلة ؛ صَحِب معروف الكرخي¹ قال الفقيه الشافعي سراج الدين بن الملقن ((أحد الأوتاد كان أوحَد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، ملازماً بيته لا يخرج منه ولا يراه إلا من يقصده. وكان تلميذ معروف الكرخي))²، وقال الجنيد عن زهد خاله سري بن المغلس ((ما رأيت أعبد من السريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُؤي مضطجعاً إلا في علة الموت))، ونقل أنه سئل عن التصوف الإعراض عن الخلق، وترك الاعتراض على الحق))³ ، وقال الخطيب البغدادي ((كان من المشايخ المذكورين وأحد العبّاد المجتهدين))⁴ .

أبو علي الفضيل بن عياض خراساني من ناحية مرو وقيل: إنه ولد بسمرقند توفي بمكة في الحرم سنة 187هـ، شيخ الحرم المكي من أكابر الزهاد وثقة في الحديث، ممن أخذ عنه الإمام الشافعي⁵.

بشر بن الحارث بن علي المروزي، المعروف بالحافي (150 - 227 هـ) من كبار الصالحين مشهور في الزهد والورع ، ومن ثقات رجال الحديث، وصحب الفضيل بن عياض ، ذكر الوزير يحيى بن أكثم قال لي المأمون بشر بن الحارث الحافي ((لما مات لم يبق في هذه الكورة أحد))⁶

3.3. من الطبقة الثانية من المتصوفة. أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (ت 200 هـ / 815 م)، من موالى الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ، نشأ وتوفي ببغداد، كان مقصد الناس للتبرك به و كان الإمام أحمد ابن حنبل في جملة ممن يزوره، ولابن الجوزي كتاب في (أخباره وآدابه)⁷، و جاء في طبقات الحنابلة أنه من

1 - الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ): الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، (د ر ط) دار إحياء التراث - بيروت وتركي مصطفى 1420هـ - 2000م. ج 15 ص 85.

2 - ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت 804هـ) : طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1415 هـ - 1994 م. ص 160.

3 - ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1415 هـ / 1995 م. ج 20 ص 178.

4 - الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف ، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1422 / 2002 م. ج 10 ص 260.

5 - نفس المصدر ج 1 ص 41، 40 ومحمد بن الحسين النيسابوري (ت 412هـ): طبقات الصوفية، ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت 1419هـ 1998م. ص 22.

6 - النيسابوري ، نفس المصدر، ص ص 42، 43

7 - الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين بيروت لبنان 2002 م. ج 7 ص 269.

المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا و يضيف ((يغشاه الصالحون ويتبرك بلقائه العارفون وكان يوصف بأنه مجاب الدعوات وحكي عنه كرامات))¹، و ذكر معروف بن فيروز في مجلس الامام أحمد بن حنبل ، فقال بعض الحضور ((هو قصير العلم)) فقال أحمد ((أمسك عافك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف))².

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذه ، وَكَانَ تلميذ معروف الكرخي، كَانَ أُوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد³.

الحارث بن أسد المحاسبي البصري البغدادي (ت 243 هـ / 857 م) قال النيسابوري في طبقات الصوفية ((من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات... وهو أستاذ أكثر البغداديين))، وقال عنه الخطيب البغدادي ((أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن))⁴، و قال ابن خلكان ((الزاهد المشهور، أحد رجال الحقيقة))⁵، و قال الذهبي ((العارف، صاحب التواليف))⁶، من أقواله ((خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم))، وقوله ((الذي يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار والذي يبعثه على ترك الإصرار ملازمة أخوف))، وقوله ((لا ينبغي أن يطلب العبد الورع بتضييع الواجب))؛ وقال ((صفة العبودية لا ترى لنفسك ملكا وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا)) وقال ((التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير منه في الظاهر والباطن))، وقال في الرجاء ((الطمع في

1 - ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت 526هـ): طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت. ج 1 ص 381.

2 - الخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت 463هـ): تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت 1417هـ. ج 132 ص 201.

3 - القشيري، المصدر السابق، ج 1 ص 45.

4 - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1422هـ - 2002 م، ج 2 ص 153.

5 - ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ج 2 ص 57، مكتبة الوقفية عن

Archive.org <https://waqfeya.net/book.php?bid=1539> تاريخ المشاهدة 2022/6/16.

6 - الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 1 ص 430.

فضل الله تعالى وَرَحْمَتَهُ وَصَدَقَ حَسَنُ الظَّنِّ عِنْدَ نَزُولِ المَوْتِ)) وقال ((العمل بمحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بمحركات الجوارح))، و أقواله كثيرة في الزهد¹.

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي، من مشايخ خراسان قال القشيري ((له لسان في التوكل))²، وحاتم بن يوسف الأصم ، من أكابر مشايخ خراسان مما قاله في التصوف ((من دَخَلَ في مذهبنا هَذَا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتا أبيض وهو الجوع، وموتا أسود وهو احتمال الأذى من الخلق، وموتا أحمر وَهُوَ العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى، وموتا أخضر وَهُوَ طرح الرقاع بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ))³.

أَبُو القاسم الجنيد بن مُحَمَّد (ت 297هـ) قال القشيري ((سيد هذه الطائفة وإمامهم)) أصله من نَخَواند ومولده بالعراق وأبوه كَانَ يبيع الزجاج فلذلك يقال لَهُ القواريري، خاله أَبُو الحسن سري بن المغلس السقطي (ت 257هـ) والحاتر الحاسبي ومُحَمَّد بن علي القصاب⁴. من أعلام التصوف ، وعدّه عدد غير قليل من العلماء في مختلف المذاهب شيخ مذهب التصوف، قال عنه الذهبي ((الإمامُ القُدْوَةُ المَحْدِثُ، أَبُو القَاسِمِ القَائِنِيُّ، نَزِيلُ هَرَاةَ، وَشَيْخُ الصُّوفِيَّةِ))⁵ ، و قال المؤرخ الخطيب البغدادي أنه سمع الحديث ببغداد، ولقي العلماء، ودرس الفقه وأسند الحديث ، ثم اشتغل بالعبادة ولازمها حتى صار شيخ وقته، في علم الأحوال والكلام عَلَى لسان الصوفية، وطريقة الوعظ⁶. قال الفقيه المؤرخ ابن أبي يعلى الحنبلي ((ونقل عَنْ إمامنا أشياء))، يقصد الامام أحمد بن حنبل، و ذكره في طبقات الحنابلة¹، و قال أَبُو القَاسِمِ الكعبي المتكلم المعتزلي ما رَأَتْ عيناى كَانَ الكُتْبَةُ يحضرونه لألفاظه والفلاسفة لدقة مَعَانِيهِ والمتكلمون لعلمه))⁷، ومن أقواله ((ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدُّنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو

1 - النيسابوري، طبقات الصوفية، المصدر السابق، ص58.

2 - القشيري، المصدر السابق، ج1 ص61، 64.

3 - النيسابورين، الطبقات ، ص87.

4 - القشيري ،المصدر السابق، ج1 ص78.

5 - الذهبي ، المصدر السابق.ج15 ص73.

6 -الخطيب البغدادي المصدر السابق، ج8 ص168.

7 -السبكي تاج الدين عبد (ت 771هـ):طبقات الشافعية الكبرى، ط2 ، تحقيق محمود مُحَمَّد الطنّاحي وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلّو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1413هـ. ج2 ص260.

صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله العزوف عن الدنيا)) وقوله ((عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى))¹.

ذكره الباحث عادل نويهض بأنه بلغ منزلة رفيعة بين صوفية عصره، حتى لقب. بسيد الطائفة، وطاووس الفقراء، وشيخ المشايخ، ونقل قول السلمي: "هو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة". وقال أبو القاسم الكعبي: "ما رأيت عيناى مثله، الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لزام علمه". وكلامه في الحقيقة مدون مشهور. من آثاره "أمثال القرآن"².

محمد بن إسماعيل المغربي عاش مائة وعشرين سنة (ت 299هـ)، قال القشيري ((لم يأكل ممّا وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تَعَوَّدَ أكلها))³.

التستري سهل بن عبد الله بن يونس (200 - 283 هـ / 815 - 896 م) من الأئمة الصوفية في القرن الثالث الهجري ، صاحب كتاب في تفسير القرآن وكتاب رقائق المحبين وغير ذلك، قال عنه النيسابوري ((أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والاخلاص وعيوب الأفعال⁴.

الإمام أبو بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي (ت380هـ/990م)، الحافظ الأصولي صاحب مصنفات التعرف على مذهب أهل التصوف وبحر الفوائد ومعاني الأخبار، جمع فيه 592 حديث (حديثا)⁵، وكتاب الأشفاع والأوتار ، قالي حاجي خليفة في كتاب سلم الوصول إلى طبقات الفحول ((وقبره مشهور يزار ويتبرك به لأنه كان من الكبار. روي أنه رأى رسول الله ﷺ في مبشرة رآها ﷺ أعطاه ريحانة وقال له: "فسّر حديثي ما دامت هذه طرية" فانتبه وهي في يده، فكان يُفسّر الحديث في كتابه "معاني الأخبار" المسمى بـ "بحر الفوائد" إلى أن رآها ذابلة))⁶.

-
- 1 - النيسابوري، المصدر السابق، ص 129 فما بعدها.
 - 2 - عادل نويهض: معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)، ط3، تحقيق الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان 1409 هـ / 1988 م. ج1 ص ص 127، 128.
 - 3 - القشيري المصدر السابق ، ج 1 ص 99.
 - 4 - أنظر النيسابوري في طبقات الصوفية ، ص 171 فما بعدها
 - 5 - الزركلي، المرجع السابق . ج 5 ص 295.
 - 6 - حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت 1067 هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مكتبة إرسىكا، إستانبول - تركيا 2010 م. ج 5 ص 250.

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري(376-465هـ/986-1072م)، شيخ خراسان في عصره، لعلمه وزهده ويعرف بزين الإسلام: أقام بنيسابور وتوفي فيها. و قد ألف القشيري كتب (كتباً) عديدة أهمها "التيسير في التفسير أو التفسير الكبير" قال ابن خلكان ((هو من أجود التفاسير)) وكتاب "لطائف الإشارات" في التفسير أيضاً" و أشهر كتبه كتاب الرسالة القشيرية¹؛ قال المؤرخ ابن خلكان((كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة))².أخذ ببغداد عن المحدث محمد بن عبد الله بن الحسين لدقائق(ت 390 هـ / 1000 م) القاضي المتكلم أبي بكر بن الطيب الباقلائي (338 - 403 هـ / 950 - 1013 م) ، وخرج إلى الحج رفقة الشيخ أبي محمد الجويني و الحافظ المحدث أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ / 994-1066م) وجماعة من المشاهير أهل العلم ، وسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز. قال ابن خلكان ((ثم واطب دروس إمام الحرمين أبي المعالي حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف))³ و نقل الذهبي أنه جرى له مع الحنابلة خصام بسبب مسائل العقيدة الأشعرية وانتهى الأمر إلى فتنة بين الفريقين⁴.

4. أشهر متصوفة القرنين الخامس والسادس الهجريين في المشرق.

1.4. عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني. أو الجيلي بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني(471 - 561 هـ / 1078 - 1166 م) ، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: حنبلي المذهب مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في الوعظ، وتفقه هناك، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها ، كان عبد القادر الجيلاني يأكل من عمل يده ، من مؤلفاته "الغنية لطالب طريق الحق" و " الفتح الرباني " و " فتوح الغيب " و"باليوضات الربانية" ⁵. لازم الشيخ عبد القادر الجيلاني الانقطاع والخلوة والرياضة والمجاهدة، وصحب الشيخ حماد الدباس وأخذ عنه علم الطريقة؛ ثم إن الله تعالى أظهره للخلق وأظهر الله الحكمة في قلبه على لسانه، وظهرت علامات من الله تعالى وأمارات ولايته.

1 -الزركلي، المرجع السابق ، ج4 ص ص57، 58.

2 -ابن خلكان ، المصدر السابق، ج3 ص ص 205، 206، 208.

3 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ص 208.

4 - نفس المصدر.ج3ص205 فما بعدها.

5 - الزركلي، المرجع السابق ، ج4 ص ص 47، 48.

وحدث وصنف، وله الكلام المليح في الحقيقة، فمنه قوله: ((الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك))¹

2.4. أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م)، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطبران (نواحي طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقول به تشديد الزاي) أو إلى غزاة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف². من كتبه (الإحياء في علوم الدين) قرأ في الفقه ببلده على أحمد الرادكاني، ثم انتقل إلى نيسابور فإمام أبا المعالي الجويني، وقد برع في فقه المذهب الشافعي والأصول وعلم الكلام والمنطق، والفلسفة، وألف في كل في هذه العلوم³. قدم إلى حلب، وذكر أتباعه غزارة علمه وزهده، وورعه، حج مرارا، منها واحدة ماشيا⁴.

3.4. الحلاج، الحسين بن منصور الصوفي. (ت 309 هـ / 922 م)، من البيضاء بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب الشيخ الصوفي الجنيد وغيره، واختلف أهل العلم في أمره، منهم من بجله، ومنهم من كفره لقوله بالحلول كقوله "أنا الحق" وقوله "ما في الجبة إلا الله" وقيل أنه تراجع عنها، كثرة تبليغ العلماء واشتهار أقواله حبس وقتل في عهد الخليفة العباسي المقتدر⁵.

الاستنتاج.

شكلت هذه الطائفة من الزهاد والمتصوفة في المشرق النواة الأولى للتصوف في البلاد الإسلامية مشرقا ومغربا ظهر من خلال هذا العرض أن التصوف يمتد في طبيعته السلوكية في مرحله (مرحلته) الأولى إلى حياة الزهد الذي كان عليه الصحابة والتابعين، صار التصوف مع مرور الوقت متميزا وعلما قائما بذاته عند معتنقيه، وصار له شيوخه الذين جعلتهم جماهير واسعة من المريدين قدوة في التربية الروحية.

1 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله ج 21 ص 127.

2 - الزركلي، المصدر السابق، ج 7 ص 22، 23.

3 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية ج 21 ص 27.

4 - ابن العماد أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط 1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت 1406 هـ - 1986 م. ج 9 ص 284.

5 - أنظر التفاصيل ابن خلكان، المصدر السابق، ج 2 ص 140 فما بعدها.

المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ

القرن الثاني الهجري/10م

المقدمة

ترتبط بدايات التصوف في الغرب الإسلامي بعاملين مهمين، الأول رحلة العلماء المشاركة الى بلاد المغرب منذ بداية حركة الفتح الإسلامي والثاني رحلة المغاربة والأندلسيين الى المشرق طلبا للعلم. لقد أسهبت كتب التراجم في جمع أعلام الزهد والورع والتصوف في بلاد المغرب والأندلس وسنعرض نماذج منها على سبيل المثال.

1. الزهاد التابعين في القرن الثاني بإفريقية.

1.1 بعض التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. يعد قدوم التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الى بلاد المغرب الخطوة الأولى لنشر العلم بجوانبه العقديّة والفقهية والسلوكية؛ وكان ضمن هذه البعثة عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية وصفوا بأنهم من أهل الدين والفضل نذكر منهم :

أبو مسعود سعد بن مسعود التّجّبي ، قال المالكي سئل عن علامة وليّ الله عزّ وجلّ، فقال: ((من استفرغت آخرته دنياه، ومن كان الحق هواه، ولم يكن له في شيء مما يسخط الله تعالى رضاء، ومن كان الذكر قوله والعلم بغيته وفي بيوت الله عزّ وجلّ مجلسه))¹.

1 - المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تحقيق محمد المطوي العروسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1414 هـ / 1994 م. ج 1 ص ص 102، 103.

أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي (ت132هـ)، يقال له "تاجر الله"، شهد له أهل العلم في زمانه أنه من أهل الزهد، قال أحد معاصريه معن التنوخي ((ما رأيت زاهدا في هذه الأمة غير اثنين: عمر بن عبد العزيز، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي))¹.

موهب بن حَيِّ المعافري الذي أقام بإفريقية حتى توفي أوردته المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الدباغ في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وقال الدباغ ((كان من فضلاء التابعين يروي عن عبد الله بن عباس))².

2.1. العلماء الموصوفون بالزهد في القرن الثاني للهجرة .

البهلول بن راشد(ت183هـ) وُصف بالاجتهاد والورع وأنه كان مستجاب الدعوة، اشتغل بالعبادة أولاً قبل العلم³، من أمثلة زهده ما جاء في رياض النفوس للمالكي ((غلا السعر فأمر فبيع له، ثم أمر من يشتري له ربع فقيز، فقيل له: «تبيع وتشترى؟ فقال: نفرح إذا فرح الناس، ونحزن إذا حزنوا))⁴.

على بن زياد التونسي العبسي (ت183هـ) أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى بلاد، قال أبو العرب((كَانَ ثِقَّةً، مَأْمُونًا، فَقِيهًا حَيَّارًا، مُتَعَبِّدًا، بَارِعًا فِي الْفِقْهِ))⁵.

أبو علي شقران بن علي الهمداني (ت 186هـ) روى عنه الإمام سحنون، قال الدباغ أنه كان "زهدا رقيق القلب غزير وصاحب كرامات، مع كثرة صلاة وصيام، مؤاخيا للبهلول بن راشد" وكان فقيها عالما بالفرائض له فيها مؤلفات، وصحبه جماعة من المريدين منهم ذا النون المصري.

قال أبو العرب في طبقات علماء إفريقية ((واحد الزمان عبادة وزهدا وحسون معاملة لله تعالى، وكثرة كرامات، وعلو همة، وسرعة إجابة وكان ضريرا نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام. رقيق القلب غزير الدمع، وكان ينطق بالحكمة ويرد الناس إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، انتفع به جماعة من المريدين النون المصري وغيره))⁶.

1 - نفس المصدر، ج1 ص115، 116.

2 - الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 699 هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت 1426 هـ. ج1 ص190.

3 - أبو العرب، المصدر السابق، ص 52 وعياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1966 - 1970 م. ج3 ص 87.

4 - المالكي، رياض النفوس، ج1 ص 205

5 - أبو العرب، ص ص 251، 252.

6 - نفس المصدر، ص 61 والدباغ، ج1 ص ص 234-235.

إسماعيل بن رباح الجزري(ت212هـ) قال أبو العرب أنه كان من المخبتين(الخاشع المتواضع المطمئن) ومستجاب الدعوة¹.

3.1. زهاد الطبقة الثانية في كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم.
أبو سليمان ربيع بن عبد الله النَّاسك قال المالكي((كان من أهل الفضل والدين. تخلص عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريقة أهل الصدق في الانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ، وكان كثير السباحة والتغرب عن الأوطان، وسكن)) من أقواله المأثورة ((الفقير إذا سافر يحتاج إلى أربعة أشياء: علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يؤنسه)).وقوله ((الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا)) ، وكان ينادي إذا جنه الليل ((اللهم إني أسألك بيد أضرعتها إليك ذلة الافتقار، أن توصلني بفضلك إلى عزِّ كلِّ كرامة. وأنا إلهي في خناق خشيتك مأسور ، أنتظر ما يرد عليَّ من فضلك ورحمتك، يا أرحم الراحمين))، سئل عن الزهد، فقال((الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا)). سئل عن الزهد، فقال: «الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا»².

أبو يزيد عبد الملك بن أبي كريمة الأنصاري ، نقل المالكي أن الفقيه المالكي سحنون قال ((كان بتونس عليّ بن زياد وابن أشرس وعبد الملك بن أبي كريمة. ولم يكن ابن أبي كريمة في ناحيتهما، وإنما كان رجلا صالحا ورعا صاحب أحاديث))، وقال غيره أنه كان يقوم الليل كله، فإذا كان السحر نادى

((إليك قطع العابدون دجى الليل بتبكير الدج، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك. فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن ترفعني إليك درجة المقربين، وتجعلني في زمرة السابقين))، فيبقى على ذلك حتى آذان الفجر³.

أبو عمرو بشير بن عمرو المتعبد بالمنستير. من الزهاد المنقطعين ، قال المالكي((كان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا، فإذا أصبح يقول: "أصبحت ونفسي وقلبي مصران على محبتك، مشتاقان إلى لقاءك فعجّل سيدي بذلك قبل أن يأتي الليل ، أقام على هذا ستين سنة))، ونقل أنه "كانت له قريحة جيدة في العلم، وكان يحسنه، إلا أن العبادة غلبت عليه" ، وكان أمراء إفريقية يأتونه إلى بيته بالمنستير فلا يخرج إليهم، ولما حجّ ودخل الشام وطرسوس لقي جماعة من الصوفية⁴.

1 - أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية، ص 67، 71.

2 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 198، 199.

3 - نفس المصدر ، ج 1 ص 323.

4 - المالكي ،رياض النفوس ، ج 1 ص ص 418، 419.

حمدون بن مجاهد الكلبي المتعبد (ت 319هـ)، قال المالكي انه كان إذا انصرف من المحراب وجد أصحابه موضع سجوده قد ابتلّ من دموعه، وزاد ((وصلّى بأصحابه التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة سبع وعشرين ختم بنا ختمة وأخذ الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله عزّ وجلّ والالتجاء إليه والنّاس خلفه ييكون ويتضرعون، فتأب إلى الله عزّ وجلّ وأتاب في تلك (الليلة) نحو السبعين رجلاً، فمنهم من ندم على شرب الخمر، ومنهم من كان على غير ذلك من الذنوب، فصاروا كلهم إلى التوبة النصوح بفضل نيته وجميل طويته))¹.

2. بواذر ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري في إفريقية.

اخترت لإظهار هذا التحول التدريجي الهادي:

أبا محمد عون بن يوسف الخزاعي (239 هـ)، قال أبو العرب ((كان عون، رجلاً صالحاً، ثقة مأموناً. وكان أحمد بن خالد يعجب به. وكان يبيع الكتان في حانوت ومعه حبة شعير، إذا أعطى الدراهم، جعلها مع المثقال، وإذا أخذها جعلها مع الدراهم. حتى يعطي زائداً بحبة ويأخذ ناقصاً بحبة)) وقال الدباغ ((وكان فقيهاً صالحاً زاهداً مأموناً))².

القاضي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت 240هـ)، قال أبو العرب "اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة والترك، لا يقبل من السلطان شيئاً"³.

من مظاهر التصوف عند القاضي عيسى بن مسكين الأفريقي (ت 295هـ) من شيوخ المالكية في بلاد المغرب وأحد علماء العهد الأغلبي وتلميذ الإمام سحنون وخليفته في القضاء بالقيروان، ما نقله القاضي عياض أنه لبس جبة صوف قديمة، مرقعة بخرقة، من كتان. وهو قاضي يركب الحمار⁴. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء "كان ثقة ورعاً عابداً مجاب الدعوة" ؛ ولي القضاء مكرهاً، فكان يستقي بالجرّة، ويترك التّكلف⁵.

1 - نفس المصدر ، ج2 ص ص 203، 204.

2 - أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 105. والدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ص 40.

3 - نفس المصدر ، ص 101.

4 - عياض ، ج4 ص ص 331، 345.

5 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 543.

تصوف أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون (ت 245 هـ) ، قال ابن سالم مخلوف في شجرة النور الزكية أنه أحد رجال الطريقة، وأنه كان أوحده زمانه علماً وعملاً وحالاً وأدباً، وكان من جملة من روى الموطأ عن مالك ، وعن ذي النون أخذ سهل بن عبد الله تستري . قال الذهبي نقلاً عن السلمي أن ذي النون المصري كان أول من تكلم «في ترتيب الأحوال ، ومقامات الأولياء» ، واقترب بذلك بمنهج الصوفيين في علم السلوك بل يمكن عده من أول الصوفيين فأنكر عليه علماء مصر، وهجروه ، واتهم بالزندقة بتهمة إحدائه علماً لم يتكلم به السلف وتعرض للعزيز من طرف أمير مصر ، فرد على هذه التهم بقوله:

وما لي سِوَى الإِطْرَاقِ وَالصَّمْتِ حَيْلَةٌ
وَوَضْعِي كَفِّي تَحْتَ خَدِّي وَتَذْكَارِي

3. مكانة الزهاد العلمية والاجتماعية.

كان للزهاد المغاربة مكانة واحتراماً في المجتمع لما اتصفوا به من علو الهمة وتواضع في المعاش وإقبالهم على الجهاد في الغزوات البحرية ومرابطتهم للثغور الأندلسية وتنزههم من مصاحبة السلطان ، وحرصهم على النصيحة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وإعالة الفقراء ، والدفاع عن الضعفاء ، وتعرضهم للامتحان والابتلاء على يدي الحكام ؛ نذكر منهم البهلول بن راشد الذي لم يسكت على الوالي محمد بن مقاتل العكي الذي عزم على بيع النحاس والحديد والسلاح الى حاكم الروم فتعرض البهلول بن راشد الى شتى صور التعذيب¹ لقد اشتغل هؤلاء العلماء الزهاد بطلب العلم وتعليمه في حلقات علم وتربية يقصدها الطلبة نذكر منها حلقات حماس بن مروان أبو القاسم حماس بن مروان بن سمالك الهمداني القاضي الزاهد (القرن الثالث الهجري) من الفقهاء الذين تغلب عليهم "الزهد والورع والتّقشّف"² ، ومن مناقبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي لمظالم الحكام والسياحة في بلاد المغرب رغبة في نشر العقيدة الإسلامية في أوساط القبائل .

عُرف عن طلاب العلم المغاربة وشيوخهم إقبالهم الكبير على الرحلة الى المشرق الإسلامي بدافع الرغبة في طلب العلم ، ونية أداء مناسك الحج وما يرافق ذلك من مجالسة الشيوخ ونظرائهم من أهل العلم في المشرق في مختلف مجالات المعرفة المتداولة في تلك الفترة منها ملاقات أهل الزهد والتصوف ، وقد سجلت المصادر أعلاماً كثيرة لمغاربة ارتحلوا إلى المشرق طلباً للعلم وملاقات شيوخ العلم منهم المالكي الذي قدم تراجم كثيرة للمرتحلين المغاربة الى المشرق في مختلف الحواضر المشرقية .

1 - عياض، المصدر السابق ج3 ص ص 98-101

2 - الدباغ ، معالم الايمان ، ص ص 176 ، 177 ، 178.

كان كثير من الزهاد يجتهدون في تعليم الناس أمور دينهم في حلقات علم يقصدها الطلاب، مثال على ذلك حلقات حماس بن مروان ، ومسافر بن سنان المالكي .

4. انضمام الزهاد للرباطات وحياتهم فيها.

أنظم الزهاد كما سبق ذكره للرباطات على طول الساحل المتوسطي لبلاد المغرب؛ أشهرها رباطات طرابلس وسوسة والمنستير ورباط شخاينص بين سوسة والمنستير ورباط الحمة بين تونس وسوسة وبونة ورباط قصر الحجامين قرب قرطجنة ثم رباط قصر أبي الصقر وربط شرشال وتنس ووهران ورباطات ساحل تلمسان ؛ وإلى الغرب من طانجة تنتشر الرباطات أصيلا وسلا وغيرها من القواعد ؛ ورباطات داخلية مثل رباك صفاقس وتلمسان.

ميز حياة الزهاد في الرباطات البساطة فلبس كثير منهم الصوف الخشن وسكنوا البيوت المتواضعة في أثارها وفراشها؛ وكان طعامهم خشنا كالكسرة الخبز والزيت والتمر ودقيق الشعير ؛ وكان الزهاد يداومون على قيام الليل والصيام ويفطرون على قليل من الطعام. دون التفریط في الأعمال اليومية كممارسة نشاط مهني في الفلاحة والصناعة والتدرب على فنون القتال.

من المرابطين في المنستير أبو عمرو بشير بن عمرو المتعبد ، قال المالكي في ربا النفوس ((من المتعبدین الزهاد المنقطعین إلى الله عزّ وجل، وكان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا، فإذا أصبح يقول: «أصبحت ونفسي وقلبي مصران على محبتك، مشتاقان إلى لقائك فعجل سيدي بذلك قبل أن يأتي الليل))، أقام على هذا ستين سنة)) ونقل أن "كانت له قريحة جيدة في العلم، وكان يحسنه، إلا أن العبادة غلبت" ¹.

الاستنتاج.

كان لأعداد التابعين القدمين من المشرق للاستيطان والسياسة في إفريقية وبلاد المغرب أثر بالغ الأهمية في نمو الحركة العلمية وما رافقها من اجتهاد التحلي بالزهاد والترفع عن متاع الحياة . كان الزهد صفة ملازمة للعلماء في هذه القرون الأولى للإسلام في بلاد المغرب، وكان أغلبية زهاد بلاد إفريقية والمغرب يجمعون بين المذهب المالكي، وكانت الرباطات مقرات لكثير من الزهاد فجمعوا فيها بين الجهاد وحراسة الثغور وطلب العلم وممارسة مختلف النشاطات اليومية.

1 - المالكي، المصدر السابق، ج 1 ص ص 418، 419.

نال علماء إفريقية احترام وتقدير المجتمع ورجال الدولة لما اتصفوا به من جنوح الى التقشف في الحياة والترفع عن كل ما اشتغل به عامة الناس وخاصتهم .

يظهر من خلال ما سبق أن بوادر انتقال بعض أهل العلم من الزهد الى التصوف ظهر في القرن الثالث الهجري فوصف بعضهم بالمتعبدین ، وفضل بعضهم لبس الثوب الخشن المرقع ، ويمكن اعتبار أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون (ت 245هـ) كان من أوائل من ظهر عليه التصوف في إفريقية ومصر .

المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العباد

والمتصوفة

المقدمة

سنقوم في هذه المحاضرة بعرض مختلف العوامل التاريخية السياسية والاجتماعية التي جعلت فئة من المجتمع خاصة من أهل العلم من تتجه الى التصوف ، كما سنناقش مختلف التأثيرات الخارجية التي يحتمل أن يكون لها دور في تشكيل الفكر الصوفي بمختلف اتجاهاته .

1.العوامل العامة لجنوح طائفة من المجتمع الى الزهد والتصوف مشرقا ومغربا.

1.1.طبيعة الإسلام التي تحث على الزهد. ترتبط ظاهري الزهد ثم التصوف بطبيعة الإسلام التي تحث المؤمنين على الأعمال الصالحة التي من المفترض أنها تقرهم الى مراتب الإيمان السامية حتى تصل بهم الى مرتبة الإحسان وقد تم تبين ذلك في المحاضرة الأولى والثانية من خلال ارتباط الحياة اليومية للصحابة والتابعين بالزهد والإقبال على مختلف الطاعات .

2.1.العامل الاجتماعي. يرتبط العامل الاجتماعي بمختلف التطورات الحاصلة في المجتمع الإسلامي مشرقا و مغربا بعدما تمكن المسلمون منذ عهد الخلافة الراشدة من بسط سلطتهم عن طريق الفتوحات على أرجاء واسعة من القارتين الآسيوية و الأفريقية ، لقد انضوت تحت سلطة الدول المتعاقبة على حكم المسلمين أمم اعتنقت الإسلام وفي نفس الوقت حافظت على كثير من عناصر بنيتها الاجتماعية و الفكرية و العقدية، وبطبيعة الحال نشأ تفاعل اجتماعي و فكري بين العرب الفاتحين و هذه الشعوب خاصة في العصر العباسي نتج عنه دخول عادات و سلوكات جديدة لم تألفها الأجيال الأولى من المسلمين ، فرآها البعض أنها خارجة عن سياق المجتمع المثالي الذي عاشت عليه سلف الأمة من الصحابة و التابعين ، هذه النظرة الراضية لهذا الواقع الجديد والعجز في تغيير الواقع تجسدت عند بعض فئات المجتمع من عامة الناس ومن كان يطلق

عليهم تسمية العباد و العارفين و الزهاد، تسلك سبيل المقاومة السلبية التي ميزتها العزلة و الانقباض و الانقطاع للنواسك التعبدية لتزكية النفس و تصفيتها من الدواخل الظاهرة و الباطنة.

محمد بركات البتيلي يقول الباحث ((أن الاسلام جاء بالاعتدال لكن لم يلبث أن طرأت على حياة المسلمين عوامل جعلت أعدادا من أهل التقى يرون أنه لم يعد كاف لمواجهة النزعة الدنيوية التي استحكمت بالمجتمع الاسلامي ففروا بأنفسهم الى الآخرة مستزيدين كما من العبادات المشروعة ومتصاعدين بذلك الى نزعة الزهد عزوفا عن عرض الدنيا الفانية وإقبالا على الآخرة الباقية))¹.

3.1. العامل السياسي . أفرزت الفتنة الكبرى(35-41هـ) ثم استشهاد الحسين سبط النبي ﷺ في كربلاء سنة 61هـ وما تبعها عبر التاريخ الإسلام) من صراعات ردودا في المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية تبلورت في شكل انقسامات عقدية بظهور الفرق التي كانت تختلف في مسائل العقيدة بالخصوص، فالنقاش كان شديدا بين مختلف هذه الفرق بظهور الأشاعرة، وأكثر شدة مع المذاهب غير السنية كالمعتزلة والجهمية والمرجئة ومختلف فرق الشيعة والخوارج.

لقد كان هذا العراك وهذا التوتر الفكري من الأسباب الهامة التي دفعت كثيرا من المسلمين الى تفضيل العزلة الروحية كحلّ للنجاة من حدّة الصراعات السياسية والظلم السياسي والسجلات المذهبية.

عن الصحابي أبي العالية قال((لما كان قتال علي ومعاوية كنت رجلاً شاباً فتهيأت، ولبست سلاحي ثم أتيت القوم فإذا صفان لا يرى طرفاهما. قال: فتلوت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا² قال: فرجعت وتركتهم))³.

4.1. عوامل تزايد حركة الزهد والتصوف في بلاد المغرب. هي تقريبا نفس الأسباب التي سجلناها في المشرق، يضاف إليها تأثير الهجرة المشرقية الى بلاد المغرب و ما وازاها من رحلة المغاربة الى المشرق، لقد لجأت فئة واسعة من المغاربة الى حياة الزهد والتصوف كرد فعل على ما أنكرته من فساد وظلم سياسي و اجتماعي و من الأمثلة على هذا النوع من الردود قيام نواة حركة في العهد الفاطمي في القرن 4هـ/10م قال

1 - محمد بركات البتيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية القاهرة 1992. ص 98.

2 - سورة النساء، الآية 93.

3 - أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (د رط) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م. ج 2 ص 219.

عنها المؤرخ محمد بن علي الصنهاجي أنها صوفية بجمال الاوراس تزعمها رجل من القيروان جمعت حركته قبائل زواوة و صنهاجة وعجيسة فاسرع الخليفة الفاطمي العبيدي المنصور بالله لقمعها (334-341هـ/945-955م)¹ ، و هذا من لأدلة على توغل التصوف داخل إفريقيا في القرن الرابع الهجري) وقد قمع الفاطميون و اتباعهم كل مظاهر التصوف خوفا من تحول اصحابها الى قوى سياسية معارضة².

هذا ما يفسر حسب الباحث طاهر بونابي عدم تمكن اصحاب المصادر ي القرنين الرابع والخامس الهجريين من ضبط اشكال الممارسات التعبدية ضبطا اصطلاحيا ، للتمييز بين الزهاد والمتصوفة اضافة الى تستر كثير من الزهاد والمتصوفة من اظهار ممارساتهم خوفا من الاضطهاد الفاطمي.

5.1. العامل النفسي. يجب التنبيه أن هناك جوانب النفسية شخصية ميزت طبيعة بعض الناس فمالوا إلى الانزواء والعزوف عن المباح، وفضلوا الزهد المفرط والاشتغال بالنواصك التعبدية وفي درجات أعلى إلى العزلة والانقطاع وإتهاك الجسد رغبة منهم حسب قناعتهم أن هذا السلوك هو منفذ النجاة من المهلكات حسب ظنهم، ويمكن تفصيل هذه المؤثرات النفسية إلى ما يلي:

- قابلية بعض النفوس للانعزال والميل إلى الجانب الروحي والاعتقاد بأن الاتجاه إلى العبادة ودعوة الناس إلى الزهد والاهتمام بالروحانيات هي النجاة من ضغوطات الحياة ونوع من أنواع رفض الواقع الذي كانوا يرونه منحرفا.

- منهم من يعبر انقطاعه عن المجتمع على نوع من العجز والفشل في مواجهة الحياة العامة بمشاكلها وصعابها ومال إلى الحياة التعبد بدعوى التوكل والتقرب والورع اجتناب الخطايا والمعاصي.

- ظهر صنف من الصوفية خاصة في أواخر العصور الوسطى والعصر الحديث خرج من هذا المسعى الزهدي الصوفي إلى مجال استغلال المجتمع بما يصلهم من عطاءات وهبات يدفعها إليهم المحسنون ثقة بهم حتى يوزعوها على الفقراء، لكن بعضهم وظّف هذه العطاءات لحوائجه الخاصة .

6.1. تأثير النحل الخارجية. لا نغفل عن تأثير العوامل الخارجية المتمثلة في الأفكار والمعتقدات والنحل والفلسفات الخارجية التي احتك بها المسلمون ، ويظهر أن بعض رواسبها تسرب بصور متنوعة داخل بعض

1 - محمد بن علي بن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، ط1، دار الصحوة للنشر القاهرة (د ت ن). ص 65.

2 - بونابي ص ص 97 ، 98.

التوجهات الصوفية في المشرق والمغرب . فالشبهة قائمة في تأثر بعض الصوفيين والفرق الصوفية بالنحل اليهودية والنصرانية والهندية والبوذية .

● يبدو تأثير التراث اليهودي على بعض الفكر الصوفي من خلال استشهاد بعض رواد الصوفية بالروايات الإسرائيلية، نذكر على سبيل المثال استشهاد القشيري برواية إسرائيلية في باب معرفة الله جاء فيها ((قال خير النساك: قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة فزرق واحد منهم فانتهره موسى فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى بطيبي فاحوا وبحي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر على عبادي؟ وقيل: سمع الشبلي قائلاً يقول: الخيار عشرة بدائق، فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدائق فكيف الشرار؟))¹.

● أما تأثير التراث النصراني فيظهر من خلال تفضيل بعض الصوفيين لبس المصنوع من الصوف ، ((روى البخاري قال : جاء عبد الكريم أبو أمية الى أبي العالية (ت 93هـ) وعليه ثياب صوف فقال أبو العالية "إنما هذه ثياب الرهبان إن كان المسلمون إذا تزاوروا تحملوا))².

● في الحلية أن حماد بن أبي سليمان (يذكره ابن السعد في الطبقة الثالثة) قدم البصرة فجاءه صوفي يعرف باسم فرقد السبخي وعليه ثوب صوف ، فقال حماد ((دع عنك نصرانيتك هذه))³.

● جاء في الحلية، قال إبراهيم بن أدهم: " إبراهيم بن أدهم : مررت براهب في صومعته ، والصومعة على عمود والعمود على قلة جبل ، كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديتني قلت : يا راهب ، فلم يجبني ، ثم ناديتني ، فلم يجبني ، فقلت في الثالثة : بالذي حبسك في صومعتك إلا أجبتني ، فأخرج رأسه من صومعته ، فقال : لم تنوح ؟ سميتني باسم لم أكن له بأهل ، قلت : يا راهب ولست براهب ، إنما الراهب من رهب من ربه ، قلت : فما أنت ؟ قال : سجان ، سجن سبعا من السباع ، قلت : ما هو ؟ قال : لساني سبع ضار إن سييته مزق الناس ، يا حنيفي إن لله عبادا صما سمعا ، وبكما نطقا ، وعميا بصرا ، سلكوا خلال دار الظالمين ، واستوحشوا مؤانسة الجاهلين ، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص ، وقلعوا بريح اليقين حتى أرسوا بشط نور الإخلاص ، هم والله عباد كحلوا أعينهم بسهر الليل ، فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطواقهم ، يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم ، يا حنيفي عليك بطريقهم ، قلت : على

1 - القشيري ، المصدر السابق ، ج 2 ص 217.

2 - البخاري محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): صحيح الأدب المفرد للإمام البخارين تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط 4، دار الصديق للنشر والتوزيع 1418 هـ / 1997 م. ص ص 139 ، 140.

3 - أبو العرب ، المصدر السابق ، ج 4 ص 421.

الإسلام أنت ؟ قال : ما أعرف غير الإسلام دينا ، ولكن عهد إلينا المسيح عليه السلام ووصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا ، وإن دينك جديد وإن خلق ، قال بقية : فما أتى على إبراهيم شهر حتى هرب من الناس¹)).

● ومن التأثيرات المحتملة للنحلتين الهندوسية والبوذية على بعض الصوفية ما نقله الإمام الجنيد، قال ((رأيت مع أبي حفص النيسابوري رحمه الله تعالى إنسانا أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ فقل لي : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستأذن مائة ألف أخرى أنفقها عليه، ما يسوّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة))² ، وقال أبو يزيد البسطامي ((صحبت أبا علي السندي ، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا))³.

يجب التنبيه الى تأثير الفكر الفلسفي على بعض التيارات الصوفية، و يظهر واضح المعالم كما سنلاحظه في تصوف دعاة الحلول و وحدة الوجود مثل ابن عربي و الحلاج وابن سبعين و غيرهم من أصحاب التصوف الفلسفي، يقول الباحث محمد شريف سيدي موسى عن الانتقال من زهد الصحابة الى التصوف ثم الى التصوف الذي خالطته المعتقدات و الفلسفات الخارجية((إن الزهد و حياة التقشف كانت كثيرة الانتشار في عهد الرسول ﷺ و في عهد خلفائه الراشدين مع السلف الصالح من أمثال الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري المتوفى سنة 32 هـ و غيرهم ، و لكن لما امتزجت الثقافات في الدولة الإسلامية من الفلسفة اليونانية و

1 - نفس المصدر ، ج8 ص 29 وأنظر تفاصيل إضافية عن العوامل الخارجية المؤثرة على الفكر الصوفي في كتاب خالد كبير علّال :نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، ط1، دار التوحيد للنشر المملكة العربية السعودية 1437هـ/2015م . ص ص 73-84 .

2 - السراج الطوسي أبو نصر : اللمع في التصوف ،تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، د رط، دار الكتاب الحديثة مصر ومكتبة المثني بغداد 1380هـ/1960م .ص 135.

3 - الحسني عبد العي بن فخر الدين الطالبي (ات1341هـ/1922م):الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسعى به (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، ط01، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، 1420 هـ، 1999م. ج1 ص

النصرانية و الزرادشتية ، أصبح هذا الزهد و هذا الحب الإلهي فيه تفلسف و تسربت تعاليمه إلى التصوف¹.

الاستنتاج.

كان للظروف السياسية من فتن داخلية وظلم سياسي وجنوح فئات من المجتمع إلى الحياة السهلة وميوعة دور في نمو التيار الزهدي في المجتمع الإسلامي.

تأثرت فرق صوفية عديدة بالأفكار المستوردة، فظهرت آثار هذه الأفكار على مناهج بعض التيارات الصوفية وسلوكات مريديها.

1 - محمد الشريف سيدي موسى: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الأسباني (6 هـ / 10 هـ / 16/12 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1430-1431 هـ/2009-2010 م. ص ص 143، 144.

المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضية في

بلاد المغرب

المقدمة

سنناقش في هذه المحاضرة النموذج الزهدي الإباضي في المغرب الأوسط وتطوره منذ نشأة الإباضية مروراً على فترة الدعوة لإنشاء الدولة ثم مرحلة ما بعد الدولة الرستمية ، سنتعرض الى أهم الأعلام الإباضيين الذين تحلوا بصفات الزهاد .

1. الزهد عند الإباضية قبل تأسيس الدولة الرستمية.

اقتدى الزهاد الإباضيين في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية بما كان عليه شيوخهم المشاركة الذين اقترنت حياتهم اليومية بنمط معيشي وسلوكي يتميز بالتقشف والإقبال على نوافل العبادات ، ولقد واضب شيوخ الإباضية على سلوك منهج الزهاد ولم يختلفوا عما كان عليه زهاد أهل السنة.

فمنهم في الطبقة الأولى للدرجيني في كتابه "طبقات المشائخ بالمغرب" حرقوص بن زهير السعدي من أمراء الأجناد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن الذين أبوا تحكيم الحكّمين في صفين، نسبة المؤرخ الدرجيني الى أهل النسك والعبادة والتقشف والزهادة¹ ،

من الطبقة الثانية (50-100هـ) ذكر المؤرخ الدرجيني جابر بن زيد الأزدي أنّه كان على مقام عال في العلم والكرامات² وأبو بلال مرداس و عروة ابنا أدية بلغا مراتب الورع و الديانة و العلم والخوف و الخشية من الله و عمران بن حطان الشاري كان في "نهاية الورع، و الصلاح و ترك الدنيا" و جعفر بن السماك "شيخ

1 - الدرجيني أحمد بن سعيد (ت 670هـ): طبقات المشائخ بالمغرب، ط1 ، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة 1394هـ/1974م . ج1 ص 202.

2 - نفس المصدر ، ج1 ص 205.

الصيانة و النزاهة ، و ركن الديانة و الفقهية " ، وصحار بن العبدى جعله الدرجينى من الزهاد فقال ((كان أحد الزهاد و أحد الزاهدين عن معتقد فاسدى العقائد - يقصد مخالفى الاباضية فى الأصول-)) ، و قريب و زحاف ابنا مالك وصفهما بالمتبتلين للعبادة¹ ، و فى الطبقة الثالثة (100-150هـ) ، و من الائمة المشاركة (100-150هـ) المواظبون على حياة الزهد أبو عبيدة مسلم قال ((كان علما مع الزهد فى الدنيا))² .

2. الزهد الإباضى فى عهد الدولة الرستمية.

واصل الائمة الرستميون العيش على طريقة أسلفهم من الشيوخ على حياة الزهد ، ومن الائمة التى نسردها عن زهد الإمام عبد الرحمن بن رستم أنه و لما وصل رسل إباضية المشرق الى تيهرت قال المؤرخ بن الصغير أن الإمام ابن رستم نزل إليهم من سطح داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة و لما دخل عليه القوم وجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس فى بيته شيء سوى و سادته التى ينام عليها و سيفه و رمحه و فرسه مربوطة فى ناحية داره³ ، نضيف من أمة زهد الأمراء الرستميين ما نقله ابن صغير عن حياة الإمام يعقوب بن أفلح فيقول ((كان يعقوب بن أفلح بعيد الهمة نزيه النفس ما جس بيده دينار و لا درهم، و كان إذا أتى وكيله بغلاته و أراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده ... و كان إذا سافر و نزل يقوم لا يأكل لهم طعاما))⁴ .

من المشائخ الزهاد الإباضين أبو عبيدة عبد الحميد الجناونى وصفه الدرجينى بالورع و "إطراح الحرص على الدنيا" ، و إباضى يعرف بأبى مرداس مهاصر ، قال الدرجينى أنه رأى خطأ من غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك لكثرة اجتهاده، وأبو ميمون الجطالى من جبل نفوسة قال عنه ادرجينى ((من له فى الآخرة رغبة و ترغيب و لم يكن له فى دنياه أكثر نصيب و كان ذا جد فى العلم و الاجتهاد و سعى فى العبادة)) ، و فى جبل نفوسة كذلك أبو المنيب محمد بن يانس وصفه بالمجاهد لنفسه ذو الدعوات المجابة والخشوع و الإنابة و صاحب "كرامات تضاهي المعجزات"⁵ ، ونقل الدرجينى " أنه إذا مضى الى غار يتعبد فيه يعد زادا قليلا فيلبث فى الغار المدة الطويلة التى يفنى فى بعضها أضعاف ذلك الزاد حتى ساء الظن بامرأته

1 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 214 ، 222 ، 232 .

2 - نفس المصدر ، ج 1 ص 238

3 - ابن الصغير (القرن 3 هجري) أخبار الأمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر و ابراهيم بهاز، د رط، دار الغرب الاسلامى بيروت لبنان (د ت ن). ص 29

4 - نفس المصدر ، ص 98.

5 - الدرجينى، المصدر السابق ، ج 1 ص 294.

وحسبت أنه تزوج غيرها¹ ، ومن الطبقة السادسة ذكر الإمامين محمد بن أفلح وعمروس بن فتح " لم تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلوم².

من الزهاد الإباضيين الذين يذكركم الدرجيني أبو مرداس مهاصر من الطبقة الخامسة (200-250هـ) "كان ممن بلغ أعلي العلوم قال عنه ((وَجَرَى فِي أَمْرِ الصَّلَاحِ إِلَى أَقْصَى غَايَةٍ وَكَانَ قَانَعًا بِالْخُمُولِ مُعْتَمِدًا عَلَى أَنْ مَا عَدَا أَمْرَ الْمَعَادِ فَضُولِ))، ويروى أنه رأى امرأة خطأ من غير قصد مكشوفة الرأس فصام سنة³.

منهم أبو المنيب محمد بن يانس وصفه الدرجيني بأنه كان مستجاب الدعاء صاحب خشوع و انابة و كرامات تضاهي المعجزات، و كان له سبعة مساجد بعضها في الجبل وبعضها في السهل ، فلا تفوته الصلاة في المسجد وهو شيخ كبير، و كان يمضي الى غار يتعبد فيه يأخذ معه زاده و يمكن وقتا طويلا⁴.

منهم أبو مصهر موسى بن جعفر قال عنه الدرجيني ((شيخ النسك و التبذل و المكرم بالدعاء و المستجاب والمتقبل، رفض شهوات النفس و باعدها...ازدرى أهل الدنيا وهم يرون أن قد ازدروه ، و باع حظه منها حين بذلوا فيها نفائسهم و اشتروهن و تحقّق ان من اشترى الدنيا غبن ، و جاء عليه الدرك ، فمن عرف ما طلب هان عليه ما ترك و ما هو في تحصيل العلوم بذى تقصير ، و لا باعه فيها بقصير ،الا أن النسك أغلب عليه والمجاهدة أقوى يقينه))⁵.

و منهم أبو عثمان المزائي الدكمي في جبل نفوسة قال عنه الدرجيني ((ذو الاثار والسخاء و كرمات الاولياء و المفزع اليه لاستجابة الدعاء ، المقصود في الشدة و الرخاء و سلك في النسك و الزهد أنهج المسالك و تحرى جهده فيما يبعده عن المهالك ن أما العلم ف ليس هو هنالك))⁶.

و منهم أبو زكريا يحيى بن يونس من أهل الورع و الزهد ، ذُكر أنه "كان من عادته إذا صلى صلاة المغرب وصل بينها و بين صلاة العشاء بالركوع و السجود، يصلي العشاء ثم ينفل ما اعتاد التنفل ثم يوتر ثم يحتاط لجميع الصلوات"⁷.

1 - نفس المصدر، ج 1 ص 299.

2 - نفس المصدر ، ج 1 ص 320.

3 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 291 ، 292.

4 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 296 ، 298 ، 299.

5 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 305 ، 306.

6 - نفس المصدر ، ج 1 ص 308.

7 - نفس المصدر ، ج 1 ص 317

3. الزهد الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ وقيام الدولة الفاطمية العبيدية ثم العهد الزيري منذ 361هـ.

استمرت حركة التصوف عند الإباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ، وهي ظروف لا شك أنها كانت صعبة ميّزها ظهور دولة جديدة مسيطرة ومعادية للمذهب الإباضي والسنيّ كذلك .

1.3. الزهاد الإباضية من الطبقة الخامسة حسب المؤرخ الدرجيني . عانى زهاد الطبقة الخامسة و من تلاهم من ويلات الفتن و المحن حسب المؤرخ الدرجيني يقول ((هم الذين تجرعوا أفواق الغصص رغما ن و تبدلوا بعد راحة الانفس غما ، و صاروا بعد صفو العيش الى كدره و كل ذلك بقضاء الله و قدره))¹، و المقصود بالفتن الصراعات الداخلية و دخولهم في حرب مع الإسماعيليين الشيعة و من ناصرهم من قبائل صنهاجة ثم بعد سقوط الدولة الرستمية .

أمام مضايقات الشيعة الإسماعيلية و ثم امتداد المد السنيّ بعد ذلك، يظهر على الإباضيين اتجاه نحو الانغلاق على الذات و الانقطاع خطوات تحميم من الاندثار بإبتكار برنامج شامل للتربية يقوم على ما عرف بالعزابة يخضع له.

2.3. الزهاد الإباضيون من الطبقة السابعة. ممن اتصفوا بالورع والزهد من الطبقة السابعة(300-350هـ). أبو صالح جنون بن يمران من ورجلان قال عنه((ذو الورع والسخاء و البركات صالح الدعاء و هو أحد ابدال و أصحاب الكرامات و الأحوال و أحد اقطاب الدين))² ، والشيخ أبو سهل الفارسي يقول الدرجيني ((الغالب من أحواله همل الدموع و التلهف على فائت ليس له رجوع ، فجعل هجيره مراثي الدين و أهله و البكاء عليه بوابل الدمع...و قد أعجز المراثي بما أوعظ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع وأوفر حظ"، ونقل الدرجيني أن رجلا من العرب انتهى الى موضع بمرسى الخرز و قيل مرسى الدجاج بجزائر بني مزغنان فطلب منه أن ينتظم للبربر كلاما بلغتهم فيه وعظ و تذكير و تخويف³.

3.3. الطبقة الثامنة. منذ العهد الزيري والحمادي ثم الموحي الطبقة الثامنة(350-400هـ). أبو صالح الياجراني قال الدرجيني أنه ((كان أعبد العباد و أزهد الزهاد ...لا يكثرث إلا بخدمة ربه، و لا يعمل لشيء

1 - نفس المصدر ، ج1 ص 319.

2 - نفس المصدر ، ج1 ص 341 ، 342.

3 - نفس المصدر ، ج1 ص 351 ، 352.

غير حبه حتى خصّه بالكرامات التي خصّ بها الأولياء))، و ذكر أن أبا صالح كان ينتقل في كل ليلة في جميع مساجد ورجلان كلما أتى مسجدا ركع ما شاء الله أن يركع، و نسبت له كرامات أنه أتى ليلا الى الغار الذي هو مصلاه يسرج له سرجان أحدهما عن يمينه في الجانب الغربي و الآخر عن شماله في الجانب الشرقي و الا يعلم يسرجهما له¹ ، و ذكر أن أبا صالح كان ينتقل في كل ليلة في جميع مساجد ورجلان كلما أتى مسجدا ركع ما شاء الله أن يركع، و نسبت له كرامات أنه أتى ليلا الى الغار الذي هو مصلاه يسرج له سرجان أحدهما عن يمينه في الجانب الغربي و الآخر عن شماله في الجانب الشرقي و الا يعلم يسرجهما له² .

4.3. من الطبقة التاسعة (400-450هـ). أبو العباس أحمد الوليلي قال الدرجيني أنه ممن رزق على العبادة والطاعة طاقة ، وكان صاحب كرامات معروف عنه القناعة والاقتصاد في المعيشة ، صادف صعوده الجبل شهر رمضان فلزم الى الربوة فاعتكف فيها، وخالطت سيرته بعض ما نُسب له من كرامات منها نزول حور العين عليه من الجنة³، وأضاف المحقق إبراهيم طلاي أن قبره في ميزاب في جبل أبي العباس ومصلاه معروف يقصد للدعاء والتبرك⁴.

5.3. ومن الطبقة العاشرة (450-500هـ). عبد الرحمن بن معلى قال الدرجيني ((أول من أسس بمسجد تقورت الحلقة وأتجج طرقها ، وأحكم عقودها و أورثها ، و قيدها و وقتها و حجر على تلاميذته أزقتها و قسط موازينها/ و حقق قوانينها))⁵.

وآخر من نذكرهم من الزهاد الإباضيين في الطبقة الثانية عشر للدرجيني (550-600هـ) يوسف بن سديميان معدود حسب الدرجيني من "القوامين بالليل الصوامين بالليل والداعين المستجابين المصبيين ، والصابرين وإن كانوا مصابين"، كان آخر أشياخ الدعوة بقرى تقيوس من بلاد قسطنطينية⁶.

4. ظهور العزابة في القرن الخامس الهجري ومدى اقترابها من مناهج المتصوفة .

يعود نشأة العزابة الى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي يقول الشماخي في تعريف محمد بن بكر (عاش بين النصف الثاني من القرن الرابع الهجري /10م والنصف الأول من القرن الخامس)، قال

1 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 372، 373 .

2 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 372، 373 .

3 - أنظر الملحق رقم وصفحات 446، 447، 448 .

4 - أنظر هامش صفحة 446 .

5 - الدرجيني ، المصدر السابق، ج 1 ص 457 .

6 - نفس المصدر ، ص 552 .

الشمّاخي ((ومنهم أبو عبد الله محمد بن بكر رحمهما الله ... أقامه الاباضية مقام الامام في جميع الأمور والاحكام ، وأسس لهم قواعد السيرة))¹ ، وأبو عبد الله محمد بن بكر جعلهم الدرجيني ممن اشتملت عليه الخمسون الأولى من المئة الخامسة للهجرة ومنها ابتداء العزابة²

1.4. أصل كلمة العزابة، هي مشتقة من لفظ العزوب عن زخارف الدنيا وملذاتها، وظف المؤرخ الدرجيني لفظ العزابي لقبا لكل الأعلام الإباذيين الذين لازموا طريق شيوخ المذهب و سعوا في طلب العلم و سير أهل الإيمان و سار على منهجهم ، يقول ((فإن حصل جميع هذه الصفات سمي عزابيا ... و ان حصل العلم دون السير و العمل بها والمحافظة عليها لم يسمى بهذا الاسم، و اعلم أن لهذا الصنف سيما انفردوا بها و أحوالا عرفوا بها لا يتفصل عليهم فيها سواهم و ذلك في تسميتهم و خطابهم و مؤاكلتهم ولباسهم و أوقات نومهم و قيامهم و أورادهم و عبادتهم ، و عندهم في ذلك قوانين و يعتدونها وحدود لا يتعدونها، و هذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء ... و أول ما استعمل هذا اللقب في أيام أبي عبد الله محمد بن بكر (رضي الله عنه) لما أسس الحلقة و رتب قوانينها))³.

2.4. الحلقة. هو اسم الجماعة التي تضم الشيخ المعلم والجماعة الإباضية التي تتلقى التلقين من الشيخ ، والتلميذ هو اسم الفرد المبتدأ في الحلقة ومرادفتها كلمات المجتمع والجمع والميعاد.

3.4. الختمة عند الإباذيين هو اجتماعهم لذكر الله و الدعاء عند طلوع الشمس و عند غروبها بحضور شيخ أو بغير شيخ ، و بهاتين الجلستين يختم الحاضرون بالأولى عمل الليل و بالثانية عمل النهار ، يجتمع فيهما أعضاء الحلقة حول الشيخ بعضهم ويذكرهم يومي الاثنين و الخميس، و في أي وقت دعت إليه الحاجة بالليل أو النهار، وأول من رتب هذا الاجتماع عند الإباضية رجل من الشراة يعرف بأبي الحر علي بن الحصين العنبري (عاش في أوائل القرن الثاني للهجرة جنوب الجزيرة العربية، ومن قوانين الحلقة الهجران في حال المخالفة مدتها على قدر الخطيئة من بعض السويوعات إلى أيام أو أشهر أو سنوات⁴. ومن شروطها الكتمان ثم الظهور مع تولية إمام عادل وولاية الدفاع وهي أن يولي أهل الكتمان ، من يدفع عنهم عدوهم⁵.

1 - الشمّاخي أحمد بن سعيد : تحقيق أحمد سعود السبيالي، ط2، وزارة شؤون التراث القومي والثقافة سلطنة عمان 1412هـ/1992م. ج2 ص61.

2 - الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ص ص 8 ، 9

3 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 3 ، 4 ، 5.

4 - نفسه.

5 - نفسه.

يشبه نظام العزابة في بعض قوانينه ومناهجه في التربية والتزكية بعض ما كان عليه الصوفية من انفصال وانقطاع وخضوع لطريقة مبرمجة للتربة والتنسك تزكية للنفس، ولكنه في نفس الوقت أداة سياسية للحفاظ على الذات والانتماء المذهبي لما حاصرتهم الظروف السياسية، في انتظار بعث الإمامة والظهور من جديد بعد مرحلة الكتمان .

الاستنتاج.

قامت الدولة الرسمية على منهج الأئمة الإباضيين في سلوك حياة الزهد ، يقول الباحث طاهر بونابي أن الأئمة الرسمية حرصوا على تثبيت الزهد كأحد الدعائم الأساسية لإنجاح دعوتهم الخارجية " مما يوضح التلازم بين ظاهرة الزهد وتكوين الدولة "1.

لم تستعمل كتب التراجم الإباضية مصطلح التصوف واكتفت بأوصاف الزهد والورع ربما للمحافظة على التميز عن التصوف الذي سيعم بلاد الغرب الإسلامي
إن ترجمتهم لأئمتهم يشبه ما كان يصف به أصحاب لتراجم السنيّة المتصوفة نذكر على سبيل المثال ما وصف به الدرجيني بعض كرامات الزهاد الإباضيين التي شبهها بالمعجزات.

لم يصل نظام العزابة الى ما اتصفت به التيارات الصوفية من نزوع الى الفكر الفلسفي والتأويل الباطني بل حافظت على منابها العريقة في الزهد، وإن أخذ نظام العزابة بعض ملامح التصوف من خلال إخضاع الجماعة للشيخ والانضباط على الطريقة التي يرسمها في التنسك والتعبد، مع ارتباط هذا التنظيم بمشروع سياسي يهدف إلى إعادة بعث الإمامة الإباضية.

1 بونابي ، المرجع السابق، ج1ص85.

المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس

في القرنين الثاني والثالث الهجريين

المقدمة

سنسير في هذه المحاضرة على نفس الطريقة التي عرضنا فيها تطور الحياة الزهدية في المشرق ثم في بلاد المغرب، معرفين بأوائل الزهاد في الأندلس ومبينين أن السلوك الزهدي لأوائل الاندلسيين بقي على منهج ما كانت عليه الأجيال الأولى من المسلمين في المشرق والمغرب.

1. أوائل الزهاد في الأندلس المرتحلين إليها.

اتصف كثير من الذين حلوا بالأندلس بعد الفتح بصفات الزهد والورع والمواظبة على العبادات مع الإقبال على الجهاد وطلب العلم وكسب الرزق.

لقد كانت هذه الأرض الجديدة دار حرب في ثغورها الشمالية فالقادمون منهم من بلاد المغرب وبلاد المشرق كثير منهم كانوا من المجاهدين المتطوعين والمرابطين والعلماء المرابطين .

كانت سيرة هذه الأجيال الأولى من المجاهدين والمرابطين والعلماء تقتفي أثر ما كانت عليه أجيال المسلمين الأولى في المشرق من زهد في المعيشة والتعبد والتنسك .

نذكر من الأجيال الأولى لهذه الفئة الزاهدة والعامة والمجاهدة: النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي (استشهد في أواخر القرن الأول هجري/7م أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك) سكن برقة هو وأخوه ثم قدم الاندلس للجهاد واستشهد في الثغر الشمالي ، كان من أزهد الناس وعرف عنه الإقبال على إنفاق ما يعطى

من مغنم وفيئ حتى لا يبقى معه ثوب ولا إزار ، ولما سئل عن حاجته ردَّ ((حاجتي أن تردني إلى ثغري، ولا تسألني عن شيء))¹.

بقي بن مخلد الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ (ت 276هـ) جاء في الصلة لابن بشكوال ((كان في غاية من الانقباض والتصاوت))²، والانقباض الانقطاع عن النَّاس و التصاوت هو التشدد في صيانة النفس من الذنوب و كل ما يُخلُّ بها ، نقل المؤرخ المحدث شمس الدين الذهبي عن ابن حزم قوله ((كان بقي ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي))، وذكر عنه إقباله على النوافل و أنه كان مجاب الدعوة، و استجابة الدعوة من المناقب التي ما يلحقها أصحاب التراجم بأهل الزهد و الورع ، و نسبوا له إنه كان يحتم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم و مع زهده لم يكن ينقطع عن الغزو، فأحصى له الذهبي سبعين غزوة³.

2. الزهاد الاندلسيون والرحلة الى بلاد المغرب والمشرق .

نذكر منهم زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بزياد شبطون (ت 204هـ)، خرج من الأندلس الى المشرق لما عزم الأمير هشام بن الحكم توليته القضاء، فمدحه الأمير بقوله ((صحبت النَّاس و بَلَوْتَهُمْ فما رأيت رجلاً يُسِرُّ من الزُّهد أكثر ممَّا يُظهر إلاَّ زياد بن عبد الرحمن)) وكان من الاندلسيين الذين سمعوا الإمام مالك بالمدينة⁴.

عيسى بن دينار بن واقد الطليطلي القرطبي (ت 212هـ)، رحل الى المشرق ولقي محمد ابن القاسم وروى عنه الموطأ، وصفه ابن الفريسي بالعابد الفاضل الورع وكان النَّاس يرون أنه مجاب الدَّعوة⁵.

1- ابن الفريسي عبد الله بن محمد (ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 هـ - 1988 م. ج2 ص155.

2 - ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي 1374 هـ - 1955 م، ص 55.

3 - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1419هـ/ 1998م. ج2 ص152.

4 - ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1 ص182، 183.

5 - نفس المصدر، ج1 ص373، 374.

عبد الملك بن الحسن المعروف بن زونان القرطبي (ت 232هـ)، قال القاضي عياض أنه سمع في رحلته الى المشرق من أشهب بن عبد العزيز ومحمد القاسم ابن القاسم من تلاميذ الإمام مالك، ونقل القاضي عياض أنه كان فقيهاً وقد غلب عليه الزهد¹.

من كبار زهاد القرن الثالث الهجري محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية القرطبي (ت 286هـ)؛ رحل إلى المشرق رحلتين لقي فيهما الحافظ يحيى بن معين، والإمام أحمد بن حنبل، قال ابن الفريسي أن رحلته الأولى إلى المشرق كانت رغبة في ملاقاته الزهاد والعباد، وفي رحلته الثانية سمع كثيراً من المكيين والشاميين، والمصريين، والقرويين منهم الامام سحنون وأضاف ابن الفريسي ((وكان محمد بن وضاح عالماً بالحديث... كثير الحكاية عن العباد، ورعاً وزاهداً، فقيراً متعففاً)).

كان اهتمام محمد بن وضاح بالزهد أكثر رغم أنه وُصف بأنه من أهل الفقه والحديث قال ابن الفريسي ((ولم يكن مذهبه في رحلته هذه طلب الحديث، وإنما كان شأنه الزهد، وطلب العباد، ولو سمع في رحلته هذه لكان أرفع أهل زمانه درجة، وأعلامهم إسناداً))²، له تصانيف في الفقه والحديث والزهد له كتاب "العباد والعباد³؛ والتف حول ابن وضاح أعداد من طلبوا العلم والراغبين في الزهد منهم أبو القاسم أصبغ ابن مالك صاحب ابن وضاح (ت 304هـ) أربعين سنة و عثمان بن سعيد بن عثمان الأعناقى (ت 305هـ)، يقول الباحث محمد بركات ((و قد تضافرت جهود ابن وضاح مع جهود غيرهم من زهاد الاندلس لتنتشر نزعة الزهد في الأندلس حتى فشلت في القرن في القرن الرابع الهجري الذي عَجَّ ليبدو أكثر القرون امتلاء بالزهاد))⁴.

من المرتحلين الى المشرق هارون بن سالم القرطبي (ت 238هـ) روى عن أشهب ابن عبد العزيز و روى وسمع من أصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد وغيره من المالكية؛ نقل ابن الفريسي أنه كان زاهداً وكان مجاب الدعوة، والعبادة كانت تغلب عليه، ودعوته مستجابة⁵، ويحيى بن زكريا بن يحيى الثقفى القرطبي، المعروف بابن الشامة (ت 298هـ) رحل للحج عام 290هـ فسمع من فقهاء مكة ومصر، و قال ابن الفريسي

1 - عياض، المصدر السابق، ج 4 ص 111، 112

2 - ابن الفريسي، المصدر السابق، ج 2 ص 17

3 - الزركلي، المرجع السابق، ج 7 ص 133.

4 - بركات، المرجع السابق، ص 149، 150.

5 - نفس المصدر، ج 2 ص 166.

((كان عابدا صواما))¹، ومحمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن الزرّاد القرطبي (ت304هـ أو جمادي305هـ)، رحل حاجا، وقال ابن الفريسي أن تحصيله كان يسيرا وكان الزهد وأعمال الحسبة، وأخبار العبّاد أغلب عليه من العلم²، وأحمد بن محمد بن الرّوميّ القرطبي (ت قبل 270هـ)، سمع في رحلته إلى المشرق الزاهد الحنبلي إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد صاحب كتاب "الزهد و الرقائق"³، يعد محمد بن أصبغ بن لبيب من أهل أسْتِجَة (ت227 أو 228هـ) أول من خاض في التصوف الباطني يقول ابن الفريسي ((وكان يتكلم في مذاهب العلم الباطني))، ولم يبين ابن الفريسي محتوى تفسيره الباطني، كانت محمد بن أصبغ رحلة إلى المشرق فسمع بمكة، ولما انصرف الى الأندلس لزم حياة الزهد والعبّادة⁴.

الاستنتاج.

قدم الى الأندلس أعداد كبيرة من أهل العلم والمجاهدين وقد اتصف هؤلاء القادمين بصفات المتعبدين من ورع وتقوى وتقشف في المعاش وطلب علم وجهاد في الثغور كانت الرحلة الى المشرق من أهم مصادر التكوين العلمي للأندلسيين في هذا القرن الثاني من الهجرة ، ولا نشك بأن طلبة العلم الأندلسيين قد اقتدوا بشيوخهم المشاركة والمغاربة في القيروان خاصة في ملازمة الزهد . يجب القول أن وسط هذا الزخم من الزهاد ظهر في القرن الثالث للهجرة تيار المدرسة المسرحية التي سنتعرض لها لاحقا ان شاء الله .

1 - نفس المصدر ، ج2 ص183.

2 - نفس المصدر ، ج2 ص27.

3 - نفس المصدر ، ج1 ص40 وابن أبي يعلى أبو الحسين ، محمد بن محمد (ت 526هـ) : طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي ، (د ر ط) ، دار المعرفة بيروت (د ت ن). ج1 ص96.

4- ابن الفريسي ، المصدر السابق، ج2 ص50 ، 51.

المحاضرة رقم 07 : من الزهد الى التصوف في الأندلس (في القرنين الرابع والخامس الهجريين)

المقدمة .

سنستمر في عرض تطور حياة الزهاد والمتصوفة في بلاد الأندلس في الفترة الممتدة من القرن الرابع الى القرن السابع الهجريين، معرفين بالزهاد ، ثم بالزهاد الذين ظهرت فيهم بعض مظاهر التصوف وفي خطوة ثالثة من صنفهم المصادر في فئة المتصوفة.

يجب الاشارة بداية أن هذه الفترة ميزها عدم الاستقرار بسبب الفتن الداخلية في مطلع القرن الرابع وحرب الاستنزاف مع الممالك المسيحية وما رافق هذه الظروف من تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، سنترك عرض المدارس ذات التوجه الكلامي والفلسفي الباطني التي سنخصص لها ما سيأتي من المحاضرات .

1. تصاعد التيار الزهدي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

بقي كثير من الزهاد الأندلسيين على منهج الصحابة والتابعين في التزامهم بأعمال "تزكية و تصفية الروح" و المشاركة في الأعمال العامة للمجتمع ، نذكر منهم المحدث عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثَّغْرِيّ (ت 383هـ) كان أقرب الى زهد التابعين حتى شُبِّهَ بسفيان الثوري ، كانت له رحلة إلى المشرق فسمع بالبصرة وبغداد العلل لابن حنبل ؛ و مسند أحمد بن حنبل وغيرها من المصنفات وسمع بالكوفة، والشَّام ومصر، ولما انصرف إلى الأندلس لزم حياة الزهد و الجهاد في الثغور، قال ابن الفرضي ((فَقِيهًا فاضلاً، دَيِّناً وَرِعاً، صَلِيحاً في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم. ما كُنَّا نُشَبِّهه إِلَّا بسفيان الثَّوْرِي في زمانه))¹، وفي نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن دُثَيْن الصَّدْفِي الطليطلي (ت 424هـ) ، رحل مع أبيه حاجا سنة 381هـ فلقي أهل العلم بمكة والقيروان ، وصفه ابن بشكوال بالعالم المتقيد

1 - ابن الفرضي، المصدر السابق ، ج1 ص ص 285 ، 286

بالزاهد السيّ الذي يتبرك به النَّاس بلقائه، قال ابن بشكوال ((كان خيرا فاضلا، زاهدا عابدا، مجتهدا ديناً، متواضعا ورعا، سنيا عالما عاملا، ويقال إنه كان مجاب الدعوة. وكان الأغلب عليه الرواية والتقيد وقراءة الآثار والعمل بها... وكان النَّاس يتركون بلقائه)) و أضاف "أن جل علمه كان قراءة كتب الزهد وروايتها وشيء من كتب الحديث¹ ، و أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المقرئ الطلمنكي (ت 429هـ)، رحل فحج ولقي أهل العلم بمكة والمدينة ومصر ودمياط والقيروان، قال ابن بشكوال أنه كان مظهرا للكرامات²، وحماد "الزاهد" بن عمار بن هاشم القرطبي (ت 431هـ)، وكانت له رحلة الى الحج و إفريقية³، وأحمد بن محمد بن عمر الصّدي (ت 450هـ) وصفه ابن بشكوال بالزاهد فقال ((رحل حاجا، وكان من أهل العلم، والعمل وترك الدنيا، صواما قواما، منقبضا، عن النَّاس، فارا بدينه، ملازما لثغور المسلمين))⁴، وممن حلّ من بلاد المغرب بالأندلس وجمع بين الفقه المالكي و الزهد، أبو جعفر بن مخلوف المسيلي الحياط (ت 393هـ) وُصِفَ بالزهد و الورع، رابط في الثغور الأندلسية أعواماً كثيرة مجاهداً، قال المؤرخ ابن الفرضي ((وكان: منسوباً إلى البأس)) أي الشدة و القوة في الحروب⁵.

ظهر وسط الزهاد الأندلسيين من برزت في سلوكهم بعض مظاهر التصوف دون أن يوصفوا بالمتصوفة كالانقطاع وعدم مخالطة النَّاس، نذكر منهم المحدث الزاهد أحمد بن يحيى القرطبي (ت 343هـ)، قال ابن الفرضي أنه كان منقطعاً وناسكاً متبتلاً⁶، و من كبار الزهاد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري الزاهد وهب عبد الرحمن العبّاسي (ت 344هـ)، قال ابن سعيد المغربي ((كانَ منقطع القرين في الزهد والورع مجاب الدعوة مقبولا في النَّاس لا يكلم أحدا ولا يجالسه)) ، وأضاف أن أكثر وقته يقضيه مفكرا وجهه على ركبته ثم يرفع رأسه فيقول :

أَنَا فِي حَالِي الْيَقْدَرَانِي أَحْسَنَ النَّاسِ إِنَّ تَفَكَّرْتُ حَالاً
مَنْزِلِي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مَقَرِّ الْأَرْضِ أَسْقَى مِنَ الْمِيَاهِ زُلَالاً

1 - ابن بشكوال، ص ص 257، 258.

2 - ابن بشكوال، ص ص 48، 49.

3 - ابن بشكوال، ص ص 154، 155، 156.

4 - ابن بشكوال، ص ص 61، 62.

5 - نفس المصدر، ج 1 ص 77.

6 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ص 50.

لَيْسَ لِي كَسْوَةٌ أَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ مُعَيَّرٍ وَلَا تَرَى لِي مَالًا
أَجْعَلُ الْكَسَاعِدَ الْيَمِينَ وَسَادِي ثُمَّ أَتْنَى إِذَا انْقَلَبْتَ الشَّمَالَآ
قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأُورٍ فَتَدَبَّرْتُهَا فَكَأَنْتَ حَيًّا

باع ما يملك قبيل وفاته، فلما سُئِلَ عن السبب قال ((أُريدُ سفرا)) فمات بعد أيام قليلة عن تسعين سنة ، وقبره بقي مزارا للقرطبيين في القرن السابع الهجري، يعتقد فيه الزائرون البركة و إجابة الدعوة حسب ما ذكره ابن سعيد المغربي¹، والفقيه المحدث يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزاريّ الإلبيري القرطبي (ت 366هـ)، كانت له رحلة علمية الى المشرق أدى فيها فريضة الحج واشتغل بعلوم القرآن و الفقه و الحديث، قال ابن الفرضي عن زهده ((منقطع القرين في العبادة، بعيد الاسم في الزهد))، و أضاف أن العبادة غلبت عليه أكثر من العلم و "العمل كان أملك به"²، وحلّصه بن موسى بن عُمران الراي القرطبي (ت 376هـ) خرج الى الحج و لا يعرف من سمع عنهم هناك، وصفه ابن الفرضي بالزاهد، لم يكن من أهل العلم لكنه كان فاضلاً مشهوراً بالفضل ، "بعيد الاسم في الخير"؛ قال ابن الفرضي أن جنازته لما توفي كانت مهيبة فصلّى عليه القاضي محمّد بن يقي، قال ابن الفرضي ((شهدتُ جنازته، ولا أعلمني شهدت أعظم حفلا منها))³ ، والفقيه الزاهد أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي (ت 379هـ) الإشبيلي ، كانت له رحلة إلى المشرق، و وصفه المؤرخ ابن بشكوال في الصلة بأنه كان من أهل الفضل، والتصاؤن والانقباض عرف من مؤلفاته، في الفقه كتاب سماه "الاقتصاد" و في الزهد كتاب سماه "الاستبصار"⁴ .

من الزهاد الموصوفين بالانقباض و تفضيل العزلة في البادية أحمد بن محمّد بن أحمد بن موسى بن هارون القرطبي (ت 391هـ) رحل إلى المشرق فسمع بمكة ومصر والقّيروان قال ابن بشكوال ((لما انصرف إلى الأندلس لزم الانقباض والعبادة والتّردد على باديته))⁵، وأحمد بن محمّد بن عمر الصدي (ت 450هـ) وصفه

1 - ابن سعيد على بن موسى (ت 685هـ): المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيف، ط3، دار المعارف / القاهرة 1955. ج 1 ص 58.

2 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 2 ص 188.

3 - ابن الفرضي نفس المصدر، ج 1 ص 167.

4 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 13.

5 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ص 72.

ابن بشكوال بالزاهد فقال ((رحل حاجا، وكان من أهل العلم، والعمل وترك الدنيا، صواما قواما، منقبضا، عن الناس، فارا بدينه، ملازما لثغور المسلمين، وكان كثيرا ما يؤكد في الرواية))¹، والمحدث أبو الفضل أحمد بن القاسم التيهري البزاز (ت 395هـ) نشأ وطلب العلم بتيهريته عند الفقيه بكر بن حماد، جاء في الصلة ((كان شيخا، صالحا، زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الناس، مائلا إلى الخمول))²، والزاهد خلف بن علي بن علي بن ناصر بن منصور البلوي السبتي الزاهد، قدم الأندلس من سبتة (ت 400هـ)، وظهر على خلف بن علي الميل إلى التصوف فكان يسيح في الأرض ويتخذ من المسجد مسكنا و كان مقصد "الصلحاء و الزهاد" قال ابن بشكوال في الصلة ((زاهدا متبتلا سائحا في الأرض، لا يأوي إلى الوطن، راوية للعلم، حسن الخط، قدم قرطبة وسكن مسجد متعة وتعبد فيه، وكان الصلحاء والزهاد يقصدونه هنالك)) هذه أمثلة قليلة من الزهاد الوافدين على البلاد الأندلسية الذين تركوا أثرا عميقا في المجتمع الأندلسي بتعبدهم و علمهم وجهادهم وورعهم و اقبالهم على المكاره فكسبوا حب الناس وساهموا بذلك في نشأة التصوف في الأندلس³.

2. التيار الصوفي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث يعرف بابن الصفار (ت 329هـ)، قال ابن بشكوال أنه كان ((كثير الخشوع فيها لا يتمالك من سمعه عن البكاء مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضا منها باليسير، ما رأيت فيمن لقيت من شيوخه من يضاهيه في جميع أحواله كنت إذا ذاكرته شيئا من أمور الآخرة أرى وجهه يصفر ويدافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يقدر أن يمسكه، وكان الدمع قد أثر في عينيه وغيرها لكثرة بكائه، وكان النور باديا على وجهه، وكان قد صحب الصالحين ولقيهم من حديثه، ما رأيت أحفظ منه لأخبارهم وحكاياتهم)) و من مؤلفاته في الزهد كتاب "فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل"؛ وكتاب "التسلي عن الدنيا بتأمل خير الآخرة"؛ وكتاب "فضائل المتجهدين؛ وكتاب "التسبيب والتيسير" و "الابتهاج بمحبة الله عز وجل" و المستصرخين بالله تعالى عند نزول البلاء" من نظمه في الزهد و الرقائق قوله:

فَرَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِي لِنَفْسِي وَأَوْحَشَنِي الْعِبَادُ فَأَنْتَ أَنْسِي

1- ابن بشكوال، ص ص 61، 62.

2- ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي 1374 هـ - 1955 م. ص 86.

3- ابن بشكوال، نفس المصدر، ص 174.

رَضَاكَ هُوَ الْمَنَى وَبِهِ افْتَحَارِي وَذِكْرَكَ فِي الدَّجَى قَمَرِي وَشَمْسِي
قَصَدْتُ إِلَيْكَ مِنْقَطِعاً غَرِيباً لَتَوْنَسَ وَحْدَتِي فِي قَعْرِ رَمْسِي
وَلِلْعَظْمَى مِنَ الْحَاجَاتِ عِنْدِي قَصَدْتُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّ نَفْسِي

لخص المؤرخ الحميدي في "جنوة المقتبس"، ي كتابه "جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس" سيرة ابن الصفار الزهدية بقوله ((كان زاهداً، فاضلاً، يميل إلى التحقيق في التصوف))¹.

من صوفية المشرق الذين حلّوا بالأندلس طاهر بن محمد بن عبد الله المعروف: بالمهتد البغدادي (ت390هـ)؛ دخل الاندلس سنة 340هـ، قال ابن الفريسي ((قد شكّ في آخر أمره، وقال في الزهد. وله رسائل عجيبة، ومقالات في معاني الزهد على مذاهب المتصوّفة. وكان: قد لزم ضيعته ببلده، وكانت واسعة مغلّة. فكان قليل الشهود بقرطبة))²، وإبراهيم بن علي الديلمي الصوفي من خراسان حلّ بالأندلس واستقر بقرطبة سنة 358هـ ثم عاد الى المشرق، ولم يعرف ابن الفريسي بنشاطه الصوفي³، وأحمد بن محمد الأنطاكي الصوفي قدّم الأندلس سنة 372هـ، قال ابن الفريسي أن مذهبه كان التّصوف والسيّاحة⁴، وسعيد بن حمدون القيسيّ الصوفي القرطبي (ت378هـ)، كانت له رحلة الى المشرق لكنه حسب ما نقله ابن الفريسي "شديد الإيذاء بلسانه"، يتوقّاه النّاس على أعراضهم⁵. وسعيد بن خلف الصوفي القرطبي (ت387هـ) قال ابن الفريسي ((وكان من أهل السنة، و كان رجلاً مقلداً يعيش من صِلَة إخوانه))⁶، وأحمد بن سعيد بن سليمان قرطبي (ت397هـ) وصفه ابن بشكوال بالصوفي المحدث، وأضاف أنه قدم طليطلة مجاهداً، و عطية بن سعيد بن عبد الله (ت نحو 403هـ) طاف بلاد المشرق سياحة، و طلباً للعلم حتى بلغ نيسابور و بلاد ما وراء النهر ي، قال الحميدي أنه كان يتقلد "مذهب التصوف والتوكل"، و عن مبالغاته أضاف ((كان لا يضع جنبه على الأرض وإنما ينام

1 - ابن بشكوال، الصلة، ص 647 والحميدي محمّد بن فتوح الأزدّي الميورقي (ت488هـ): جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (د رط) الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1966 م. ص ص 385، 386.

2 - ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1 ص245.

3 - ابن الفريسي تاريخ علماء الأندلس، ج 1 ص 29.

4 - ابن الفريسي تاريخ علماء الأندلس ج 1 ص 76.

5 - تاريخ علماء الأندلس ج1 ص 206، 207.

6 - ابن الفريسي، المصدر السابق، ج 1 ص 207.

محتبياً. قال أبو الفضل¹، وعبد الله بن محمد بن سليمان يعرف بابن الحاج القرطبي (ت 419هـ)، قال ابن بشكوال ((كان إذا أحيى في الجامع لا يتمالك كل من يسمعه من البكاء))، و له شعر في الزهد و مؤلفات فيه خرج للحج و توفي بالقبروان سنة 419هـ²، و هشام بن سليمان بن إسحاق بن هلال القيسي السائح (ت 420هـ) قال ابن بشكوال ((كان زاهدا فاضلا متنسكا متبتلا، منقطعا عن الدنيا صواما قواما، كتب بخطه علما كثيرا ورواه. وكان حسن الخط، جيد الضبط ... ويصنع في عيد الفطر طعاما كثيرا لأهل الحصن ولمن حضره من المرابطين، وينفق فيه المال الكثير، وكان يربط نفسه في الثغور، ويلبس الخشن من الثياب))³، ومن زهاد القرن الخامس عبد الله بن سعيد الشنتجيالي (ت 435هـ) جاء في الصلة ((كان كثيرا ما يكتحل بالإثم ويجلس للسمع محتبياً⁴، ، ومحمد بن شجاع الصوفي. نقل عن الحميدي أنه «كان رجلا مشهورا على طريقة قدماء الصوفية المحققين، وذوي السياحة المتجولين، وقد شهدته الحميدي في حدود سنة 430 للهجرة⁵، وعبد الله بن موسى بن سعيد الأنصاري، يعرف بالشارقي (ت 456هـ) ممن انقطع عن الناس، وتجرد للعبادة ولم يكن له زوجة ولا ولد، قال ابن بشكوال ((وكان حسن الإدراك جيد التلقين، حصيف العقل، نقي القريحة مع الصلاة الطويلة والصيام الدائم، ولزوم المسجد الجامع. كانت له فيه مجالس كثيرة يُعلم الناس أمر وضوءهم وصلاتهم وجميع ما افترض الله عليهم. وكان حسن الخلق صابرا لمن حفي عليه، متواضعا، بذ الهيئة، دمثا طاهرا قريبا من الناس، قليل المال، صابرا قانعا راضيا باليسير من المطعم والملبس))⁶.

3. التيار الصوفي في الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين.

أحمد بن معد بن عيسى التجيبس الإقليشي (ت 550 أو 551) قال ابن أبار ((وَكَانَ عَالِمًا عَامِلًا مَتَصَوِّفًا شَاعِرًا مَجُودًا مَعَ التَّقَدُّمِ فِي الصَّلَاحِ وَالزَّهْدِ وَالْعَزُوفِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ... وَأَنَّهُ كَانَ

1 - الحميدي، المصدر السابق، ص 319، 320.

2 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 256.

3 - نفس المصدر، ص 614.

4 - نفس المصدر، ص 264.

5 - نفس المصدر، ص 563.

6 - نفس المصدر، ص 269.

يضع يده على وجهه إذا قرأ القارئ فيكي حتى يعجب الناس))¹، وأحمد بن عبد الملك بن عميرة الضبي(ت 577هـ) قال المؤرخ أبو جعفر الضبي أنه كان((علماً عاملاً زاهداً فاضلاً متقللاً من الدنيا أخبرت عنه إن كان يواصل الصيام خمسة عشر يوماً، وكانت أوقاته محفوظة وكان رحمة الله إماماً في طريقة التصوف، وكنت لا تراه من الليل إلا قائماً. وكان أكثر دهره صائماً²، وخلف بن يحيى بن خطاب الزاهد القرطبي(ت 576هـ) قال ابن الأبار أنه يؤم كان الناس بجامع قرطبة ثم مال الى الانقباض، وقد اتخذ بجامع الزاهرة مجلساً له للوعظ والتذكير فقصده الناس متبركين بلقائه ودعائه ، من نظمته في الزهد قوله :

قَدْ تَخَيَّرْتُ أَنَّ أَكُونَ مُحَقِّقًا لَيْسَ لِي مِنْ مَطِيهِمْ غَيْرَ رَجُلِي
فَإِذَا كُنْتُ بَيْنَ رَكْبٍ فَقَالُوا قَدَّمُوا لِلرَّحِيلِ قَدَّمْتُ نَعْلِي
حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحَلًا مِنْ رَأْيِي فَقَدْ رَأَيْتُ وَرَحَلِي³

في القرن السابع نذكر إبراهيم بن محمد بن خلف المرداسي السلمي (ت 616هـ) كان من المتصوفة الذين التف حوله المريدون حتى غرّبه الموحدون الى مراكش مثلما حدث لبعض الصوفية الذين كانت تخشاهم السلط الحاكمة ، قال ابن الأبار ((و كان من أهل العلم والعمل سنياً فاضلاً يشارك في الأدب وغلب عليه علم التصوف وكثر من أهله الاجتماع إليه والازدحام عليه فغرّ به السلطان عن وطنه و توفي بمراكش))⁴، ومحمد بن يزيد بن عبد الرحمن القرطبي (ت 622هـ) قال ابن الأبار ((كان متصوفاً منقبضاً))، وأيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري السبتي(642هـ)، كان من المرتحلين الى المشرق للحج وطلب العلم، استشهد في كائنة العقاب سنة 609هـ⁵.

1 - ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي البلبسي (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، (د ر ط)، دار الفكر للطباعة - لبنان 1415هـ - 1995م. ج 1 ص 57.

2 - الضبي أحمد بن يحيى (ت 599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (د ر ط)، دار الكاتب العربي - القاهرة، 1967 م . ص 166. ص ص 433 - 436.

3 - ابن الأبار ، المصدر السابق، ج 1 ص ص 247، 248.

4 - ابن الأبار ، المصدر السابق التكملة لكتاب الصلة ج 1 ص ص 141، 142)

5 - نفس المصدر ج 1 ص ص 167، 168.

4. الصوفيون الغزاليون بالأندلس.

من المرتحلين الاندلسيين الذين لقوا الامام الغزالي أو تلاميذه نذكر عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي المقرئ (ت 545هـ) من قرية على مقربة من وادي آش، رحل حَاجَا فِي سنة 497 هـ و لقي فيها أبا حامد الغزالي، قال ابن عبد البر ((فَسَمِعَ مِنْهُ وَأَجَازَ لَهُ تَوَالِيْفَهُ)) و بعد عودته سنة 505 هـ ولي صَلَاة الفريضة و الخطبة بجامع ألمرية و أضاف ابن الفرضي ((وكان زاهدا فاضلا متصوفا مجاب الدعوة))¹، و أحمد بن عمر المعافري يعرف بابن افرند من مرسية نقل ابن الأبار أنه كان صالحا زاهدا متصوفا، لقي في رحلته أبا الفتح بن الزند انقاني (بلد بين سرخس ومرو) من أصحاب أبي حامد الغزالي².

الاستنتاج.

نلاحظ في الأخير أن الزهد بقي ميزة لأهل العلم من الأندلسيين وكثير من عناصر المجتمع، فمع زهدهم شاركوا في الحياة العامة كتعليم الطلبة والاشتغال بالقضاء والتطوع للحرب والمرابطة في الثغور، وبعضهم كان من أصحاب الحرف.

ظهر من خلال ما سبق أن كثيرا من متصوفة الأندلس اتجهوا الى التصوف الفردي بالانقطاع ومجاهدة النفس واتخاذ أساليب الوعظ والترغيب والتذكير، فتميزوا بذلك عن الصوفيين الذين اجتمع حولهم المريدون وأنشأوا مدارس ذات مناهج وطرق كما سنلاحظه فيما سيأتي من محاضرات،

تبين أن أغلب الزهاد والمتصوفة من أهل العلم خاصة الفقه على مذهب الامام مالك وعلم الحديث. كان للرحلة تأثير على الزهد والتصوف الأندلسي سواء بقدوم أعلام مشاركة ومغاربة أو خروج الأندلسيين في رحلات الحج وطلب العلم ومظاهر هذا التأثير إقبال بعض الأندلسيين على تبني منهج تصوف المدرسة الغزالية.

1 - نفس المصدر، ج3 ص ص 24، 25.

2 - نفس المصدر، ج1 ص ص 66، 67.

المحاضرة رقم 08: جماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس. (جماعة التصوف الألبيرية، جماعة التصوف المعوزية)

المقدمة.

شهدت الأندلس منذ القرن الثاني للهجرة بروز بعض التجمعات للزهاد ثم المتصوفة ستتناول في هذه المحاضرة الجماعات التي أخذت بعدا زهديا ثم صوفيا قائما على المجاهدات النفسية والذكر.

1. أمثلة عن اجتماع الزهاد للذكر والعلم منذ القرن الثاني للهجرة .

نذكر الزاهدة المتعبدة أخت القاضي مُنذر بن سعيد الكزني البلوطي عاشت في القرن الثاني للهجرة (في عهد الأمير الحكم بن هشام) ، ذكر المؤرخ ابن بشكوال أنها « كانت تتعبد في مَسْجِد لها لصق بَيْتِهَا فيقصدوها صوالح نساء ناحيتها للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير العابدين»¹، واجتماع الزهاد حول الفقيه المحدث والمقرئ أبي القاسم أصبغ بن مالك القرطبي (ت بين 299هـ و234هـ) يسمعون منه ويتذاكرون معه، قال ابن الفريسي ((كان عابدا زاهدا يجتمع إليه أهل الزهد والفضل ويسمعون منه))² .

2. جماعة التصوف الألبيرية.

أنشأ هذه المدرسة الصوفية بقرطبة الزاهد أبو بكر يحيى بن مجاهد الفزاري الإلبيري(366هـ) فعرفت مدرسته بالجماعة الألبيرية، كان أبو بكر الإلبيري من طلاب العلم الشرعي، ثم اتجه الى حياة الزهد وتعليم وتهذيب المريدين ، ثم رحل الى المشرق للحج³.

1 . ابن الأبار، نفس المصدر، ج4 ص245.

2 - ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1 ص95.

3 - ترجم له الحميدي ، جذوة المقتبس ، المصدر السابق، ص 379

من مريديه محمد بن موسى بن علون الجذامي جمع فضائل شيخه أبي بكر بن مجاهد الألبيري و دون بعض رسائله¹، و من خاصته محمد بن عبد الرحمن الأزدي المعروف بالفراء، رحل معه لأداء مناسك الحج، جاء في التكملة ((وَحَكِي أَنَّهُ سَرَدَ الصَّوْمَ اثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَبْلَ مَوْتِ ابْنِ مُجَاهِدٍ مُفْطِرًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَقْتَ الْإِفْطَارِ ثُمَّ تَمَادَى عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ مُدَّةٍ مُفْطِرًا عَقِبَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لِاتِّزَامِهِ الصَّلَاةَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَيْهَا تَزِيدًا مِنَ الْخَيْرِ وَاجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ))²، و رجل يعرف بصبيح الزَّاهد من أهل قرطبة كان من خاصة الشيخ³، ورجل ثري يُعرف بعبد الله بن الزيات القرطبي يكنى كان في أول أمره تاجراً ذا ثروة ثم تصدق بماله و رغب في التصوف بمجالسته ليحيى بن مجاهد، فأعتزل أهله وأقبل على طلب العلم و حياة الزهد الى أن توفي⁴. والصوفي عمرو بن إسماعيل العبدري القرطبي (ت366هـ)، قال ابن الأبار ((كَانَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ فِي وَقْتِهِ زَهْدًا وَعِبَادَةً وَانْقِبَاضًا عَنِ النَّاسِ وَاشْتَغَالًا بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ ... وَكَانَ صَاحِبًا لِأَبِي بَكْرٍ يَحْيَى بْنَ مُجَاهِدٍ الْأَلْبِيرِيِّ وَلَمْ يَجْمَعْ مِثْلَهُمَا زَمَنٌ مِنَ الْأَزْمِنَةِ تَبْرِيْزًا فِي الْعِبَادَةِ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَغْزَرَ عِلْمًا وَأَلَيْنَ عَرِيكََةً))⁵ و أبو بكر عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت367هـ)، قال القاضي عياض كان من ابناء الأشراف وأعيان الفقهاء الأخيار و ورعاً زاهداً صار في آخر عمره متبتلاً منقطعاً معتزلاً عن النَّاسِ⁶، و اشتهر من مريديه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار القرطبي (توفي 329 هـ) (سبق ذكره ضمن زهاد القرن الرابع) فقد نقل أخباره في كتاب "الابتهاج بمحبة الله تعالى" و كتاب " التهجد و فضائل المجتهدين "⁷ و الزاهد أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الذي كسب قلوب القرطبيين فعند موته خلت قرطبة و اضطرت الشرطة الى حراسة المدينة و أبوابها قال القاضي عياض ((مات وسط النَّهَارِ مِنْ يَوْمِهِ. وَانْزَعَجَتِ الْعَامَّةُ لِمَوْتِهِ انْزِعَاجًا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهِ. وَشَهِدَهُ

1 - ابن الأبار، المدر السابق، ص ص 297، 298.

2 - نفس المصدر، ج 1 ص 297.

3 - نفس المصدر، ج 2 ص 223.

4 - نفسه.

5 - نفس المصدر، ج 4 ص 42.

6 - عياض، المصدر السابق، ج ص 119.

7 - ابن بشكوال، الصلة، ص 647 والحميدي محمد بن فتوح الأزدي الميورقي (ت488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (د رط)، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1966 م. ص ص 385، 386.

النَّاسَ، حتى خلت قرطبة، واحتاج أولو الأمر الى ضبطها، وحرس أبوابها، حتى فرغ من شأنه، ولم يصل نعشه الى قبره، إلا أصيلاً. وجعلت العامة تلمسه تبرّكاً به، بأيديها وأثوابها. وزاروا قبره مدة¹.

3. الجماعة المعوذية.

يتقدم هذه الجماعة التي تنسب للفقهاء المتعبدين أبي عمرو معوذ بن داود ابن الأزدي التاكريني (ت431هـ) أخذ الزهد عن الشيخ أبي حفص عمر بن الرعيبي عياض، كان أبو عمرو بن داود حصوراً لم يتخذ لنفسه زوجة وزاد انقطاعاً و عزلة عندما نشبت الفتنة بقرطبة في نهاية القرن الخامس الهجري²، من أصحابه و طلبته في العلم الزاهد عيسى بن محمد الكناني التاكريني العابد، أصله من قرية إطابة من أعمال تاكرنا نواحي رُونْدَة وملقة³، ومن أصحابه عبد الله بن سعيد بن مدير الأزدي و قد ترك رسائل في الزهد و المواعظ يصفها القاضي عياض بأنها "مستحسنة"⁴، و الزاهد خلف بن اسماعيل من أهل مالقة صحبه وسمع منه⁵، عبد الله بن سَعِيد بن عَبَّاس بن مالك بن مدير الأزدي من أهل أشونة قرب اشبيلية وسكن ولده قرطبة روى عن أبي عمر معوذ بن داود الزَّاهِد وصحبه حدث عنه، من شعره :

لَا يَعْرِفُونَ سِوَى الْحَلَالِ طَعَامًا	خُصُّ الْبَطُونِ مِنَ الْحَرَامِ أَغْفَةً
قَامُوا فَكَانُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا	قَوْمٌ إِذَا هَجَعَ الظَّلَامُ عَلَيْهِم
وَنَهَارِهِمْ لَا يَفْطَرُونَ صِيَامًا	يَتَلَذَّذُونَ بِذِكْرِهِ فِي لَيْلِهِمْ
وَحَسَابِهِمْ بَيْنَ الْعُيُونِ إِمَامًا ⁶	نَصَبُوا لِأَنْفُسِهِمْ قُبَيْلَ مَعَادِهِمْ

1 - عياض، المصدر السابق، ج 8 ص 39.

2 - نفس المصدر، ج 8 ص 42.

3 - ابن الأبار، المصدر السابق، ص 413.

4 - أنظر الغرميبي، ص ص 92، 93، 94.

5 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1 ص 242.

6 - نفس المصدر، ج 2 ص ص 241، 243.

وأصحابه طاهر بن عبد الله بن أحمد القيسي الإشبيلي (ت 450هـ) الذي روى عنه¹ ، وذوالة بن حفص بن عمر القرشي، القرطبي (ت 339) من أهل تاكرنا ، وذو النون الرجل الصالح (ت بعد 450هـ)، قال ابن بشكوال ((كان ناسكا فاضلا، زاهدا. لقي معوذ بن داود وجرى على طريقته وسنته وهديه))²، والعباد أبو الأصبغ عيسى بن محمد (ولد 993هـ) قال ابن بشكوال ((وهو من العبّاد الفضلاء الزهاد، وممن عني بطلب العلم))³.

يقول الباحث الغرميني عن هذه الجماعة الصوفية ((فقد كانت كمثيلا لها تنبني على مبادئ التشدد في المطعم طلبا للقامة الحلال وإن قلت ، وعلى سرد الصيام طوال الأيام تجويعا للبدن وإرهاقا لشهوة النهم ، وعلى الانقطاع أحيانا عن النساء وزيادة النسك والتفرغ ، وعلى قيام الليالي بالصلوات والأذكار ومغالبة النوم والفتور ن ثم في خلال ذلك التذكر الدائم لمرارة الانتقال من الدنيا والاشراف على الحساب والجزاء)) وأنها مبنية على تصوف الخوف والهيبية لا على تصوف الرجاء والمحبة⁴.

الاستنتاج.

تميزت هذه الجماعات الزهدية بالتفاف المريدين حول شخصية من الزهاد أو المتصوفة للذكر وطلب العلم، والملاحظ كذلك أن هاتين الجماعتين الصوفيتين الابيرية والمعوزية لم تتعرضا لمضايقات السلطة، قد يكون السبب مرتبطا بابتعادها عن المناهج المعاصرة لها من المدارس الصوفية ذات البعد الفلسفي والباطني والكلامي مثل المسرية و مدرسة ابن العريف و ابن برجان .

1 - ابن بشكوال المصدر السابق، ص 235.

2 - نفس المصدر، ص 182.

3 - نفس المصدر ، ص 413.

4 - أنظر في التعريف بهذه الجماعة، الغرميني ، ص 94.

المحاضرة رقم 09: التيار الصوفي الفلسفي

في الأندلس (مدرسة ابن مسرة)

المقدمة

مع انتشار تصوف المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس ، ظهر تصوف أخذ مسالك كلامية وفلسفية وباطنية ، سنتناول في هذه المحاضرة مدرسة ابن مسرة في العهد الأموي ، وتأثيراتها على الفكر الصوفي .

1. مدرسة ابن مسرة 269 - 319 هـ / 931م.

1.1. مولده ونشأته. ولد محمد بن عبد الله بن مسرة سنة 269 للهجرة و توفي سنة 319 هـ بقرطبة، وتعلم علوم الدين والفلسفة و مذهب الاعتزال على يدي أبيه الذي كان قدريا يعمل بالتجارة ، و كانت رحلته وهو صغير الى المشرق مع أخيه فسمع بالبصرة حيث كانت من مراكز التصوف و الاعتزال¹، نشأت المسرية في جو من السرية ثم ظهرت للعلن ، يقول الباحث احسان عباس ((ولكن في أوائل القرن الرابع كان هناك مذهب جديد أخذ بالتكون في شيء من السرية والحذر، ولعل هذا التسامح الذي جاء به الحكم - يقصد المرابطي - قد شجعه على الاستعلان، وشجع معتنقيه على الظهور))².

2.1. آراء ابن مسرة الصوفية. يقول احسان عباس حول مذهب ابن مسرة معتمدا على الأخبار القليلة المتوفرة أنه كان يجمع بين بعض مبادئ المتصوفة وبين بعض أصول الاعتزال، فلم يكن معتزليا خالصا ولا باطنيا خالصا، فأما المبادئ الاعتزالية التي يقول بها فهي بالاستطاعة - تقول المعتزلة أن الاستطاعة تكون قبل الفعل

1 - ابن الفريسي، ج2 ص ص 41، 42.

2 - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط1، دار الثقافة - بيروت 1960. ص52.

- والوعد والوعيد- أنه يعلم أنَّ الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب- ورؤية الله¹.

تقول الباحثة نصيرة طيطح((تعتبر المدرسة المسرّية فريدة ومتميزة من حيث مذهب عقيدتها الذي جمع بين فكر- المتناقضات كونه عبارة عن تركيب لمبادئ المعتزلة المتعلقة بالوحدة الالهية، والعدل الإلهي، والقدرية مع النظريات والتطبيقات الصوفية بحيث ترك آثارا في الفكر والمنهج الصوفي الذي استهوى عددا كبيرا من التلاميذ على امتداد العديد من الأجيال تجاوزت حدود مسافات الزمان والمكان لبلاد الأندلس القرن وسطيّة- بمعنى الدراسة الأكاديمية متعددة التخصصات في العصور الوسطى))².

أما المستشرق الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس Miguel Asín Palacios في كتابه حول ابن مسرة musulmanam-hispano Abnmassara y su escula ;orígenes de la filosofía أن المبادئ الباطنية لتصوف ابن مسرة قد يكون مصدرها آراء منسوبة للفلاسفة الاغريق مثل لانبذوقليس Empédocles (عاش بين 435-490 ق م) والفيلسوف فيلون الإسكندري، إيديدا بالعبرية (20 ق م - 50 م) وأفلوطين.

من هذه الآراء المنسوبة لانبذوقليس الجمع بين معاني صفات الله وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد وأنه ان وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكرر بوجه، وإذا أخذنا برأي بلاثيوس فإن تصوف ابن مسرة كان يقول بوحدة الوجود وينسب بلاثيوس ابن مسرة للمدرسة الأفلاطونية³، ويضيف الباحث احسان عباس ان ابن مسرة اخذ بقول افلاطون بوجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية. واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية. وقد دافع ابن مسرة عن هذا المذهب تحت ستار إسلامي من آراء المعتزلة والباطنية⁴.

1 - احسان عبّاس، تاريخ ادب الأندلسي، ص. 54

2 - نصيرة طيطح : ابن مسرة الأندلسي وإشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 08 / العدد: 01 السنة 2021، ص300.

3 - احسان عبّاس، المصدر السابق، ص55 وأنخيل جنثاليث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد 1955. ص226 فما بعدها.

4 - نفس المرجع، ص55.

أثّم ابن مسرة بالزّندقة فخرج فمهاجرا ، واشتغل بملاقة علماء الكلام ، والمعتزلة ، ثم عاد إلى الأندلس ، يقول ابن الفريسي عن عقيدته القدريّة ((أظهر نسكاً وورعاً، واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر الناس على سوء معتقده، وفتح مذهبه فانقبض من كان له إدراك وعلم، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته. وكان: يقول بالاستطاعة، وانفاذ الوعيد، ويحرف التأويل في كثير من القرآن)). ونقل ابن الفريسي رأي أهل العلم في ابن مسرة فقال((الناس في ابن مسرة فرقتان: فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد، وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد، ويخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم¹.

3.1. مؤلفاته وأفكاره الفلسفية والكلامية والصوفية. ضاعت أغلب مؤلفات ابن مسرة ولم بق سوى رسالة عنوانها "خواص الحروف وحقائقها وأصولها" وكتاب "الاعتبار" وكتاب "توحيد الموقنين تحدث فيه عن الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات ذكره أبو إسحاق بن رهاق ابن المرأة أستاذ ابن سبعين في شرحه على "الإرشاد" للجويني².

"كتاب الحروف" يفهم من عنوان خواص الحروف أن لبعض المواد تأثير فللحروف عنه تأثير كذلك كما نرى ذلك عند جابر ابن حيان أو المجريطي أو البوني بقول مثلاً في حرف الألف ((من أمثلة الواردة في كتابه الحروف قوله أن الألف هي أول أدلة التوحيد و ذلك أنها مفردة الابتداء بما لا تتصل بشيء من حروف المعجم و لا يشبهها إلا الام إذا اتصلت في كلمة أو انفصلت فانضافت الى الألف للتشبيه... فأول الأسماء الحسنى الله، و لذلك ابتدأ به في فاتحة الكتاب))، و يضيف أن الألف تدل على صفة التوحيد و أنه((إذا أتى اللف في آخر الكلمة أو وسطها بما قبله و انفصل مما بعده فدل تعالى اسمه في الابتداء به أنه الاول، و باتصاله بما بعده أنه الآخر))، و عن اللم قال ((قال أهل علم الباطن بكلام الباطن : إن الم هو اسم الله الأعظم و إن الألف إشارة الى ذات الله تعالى ،لانفراد الألف عن الاتصال ،و هو الاسم القديم الأزلي الذي لا يفسر بأكثر من هو ، ولما كانت اللام تصحب الألف و الغيب المكنون، و هو الاسم الذي تسمى الله به)) ،و له شرح في حروف ما بسميه مداخل الحياة "المص" و "ألر" "كهيعص" و "طه".

1 - ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس ، ج 2 ص ص 41، 42.

2 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1 ص ص 233، 234 و كامل محمد عويضة، ابن مسرة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج القرطبي الفيلسوف الزاهد، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت 1414هـ/1994م. ص 22، 23.

يقول ابن مسرة في ترتيب السور ((أنما كانت النون آخر آيات الكتاب ، لأن الروح الحامل للأرض مكانها ، ولأن الروح هو المكان الحامل لجمع الأجسام، وهو النسيم الحامل المحيط بالأرض ضاهرا وباطنا)).
لابن مسرة رسالة عنوانها "الاعتبار: ذكرها ابن الأبار بعنوان "التبصرة"، في ذهن ابن مسرة طريقان للوصول الى المعرفة الالهية ، يبدأ الوحي بالموجود الأعلى (الإله) ثم ينزل الى أسفل جزء في العالم أما العقل يبدأ من القاع ويصعد تدريجيا حتى يصل الى الموجود الأعلى يقصد من خلال كلمة الاعتبار أنها الأساس الفعلي الاستبطاني للبحث والسعي وراء الحقيقة فهي ترادف كلمة التفكير والتأمل وبمعنى عام فان طريق الاعتبار هو الفلسفة¹.

4.1. موقف الفقهاء المالكية من مدرسة ابن مسرة والمسريين. يبدو أن ابن مسرة كان يلحق تلاميذه الاعتزال، كما قيل إنه ينشر آراء بوحدة الوجود مما جلب له عداة الفقهاء والدولة ، فاتهم ابن مسرة بالزندقة، واضطر للفرار مع صاحبيه تلميذه ابن المديني وابن صقيل، فنزلوا في مكة اشتغل ابن مسرة في رحلته بملاقة أهل الجدل والكلام والمعتزلة.

وقف الفقهاء المالكية موقف المستنكر من أفكار ابن مسرة. قال الحميدي عن ابن مسرة : "له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتأليف في المعاني، ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها" وقال ابن الفريسي ((اتهم بالزندقة فخرج فارا، وتردد بالمشرق مدة، ثم انصرف إلى الأندلس. وكان يحرف التأويل في كثير من القرآن، وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق))، وفي تاريخ قضاة الأندلس أن القاضي ابن زرب وضع كتابا في الرد على ابن مسرة، واستتاب بعض أتباعه، و (أحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه².

من خصومه محمد بن يقي بن محمد بن زرب بن يزيد بن مسلمة. قاضي الجماعة بقرطبة (ت 381هـ) أحفظ أهل زمانه للمسائل على مذهب مالك وأصحابه كثير الصلاة وقد حدث بصحيفة ردّ فيها على محمد بن مسرة قال التباهي في ملاحقة ابن زرب للمسريين ((واعتنى القاضي ابن زرب بطلب أصحاب ابن مسرة، والكشف عنهم، واستتابه من علم أنه يعتقد مذهبهم؛ وأظهر للناس كتابا حسنا وضعه في الرد على ابن مسرة،

1- أنظر ما يتعلق بفكر ابن مسرة الصوفي الباحث كامل محمد عويضة، ص ص 28- 74.

2- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي الأندلسي (ت نحو 792هـ): تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق لجنة إحياء التراث، ط5، دار الافاق الجديدة - بيروت/لبنان العربي في دار الافاق الجديدة 1403هـ-1983م، ص 78.

قرئَ عَلَيْهِ وَأُخِذَ عَنْهُ. وَكَانَ سَنَةَ 350 هـ اسْتَتَابَ جَمَلَةً جِيءَ بِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِ ابْنِ مَسْرَةَ؛ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الشَّرْقِيِّ¹.

مَنْ رَدَّ عَلَى فِكْرِ ابْنِ مَسْرَةَ وَأَهْلٍ مَقَالَتَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيِّ الْإِشْبِيلِيُّ النَّحْوِيُّ (ت 399 هـ) فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ مَسْرَةَ ، سَمَّاهُ هُنَاكَ سِتُورَ الْمَلْحَدَيْنِ ، وَاحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ وَاحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَالِمٍ التَّسْتَرِيُّ.

5.1. موقف الدولة الأموية من مدرسة ابن مسرة والمصريين. أصدر الخليفة الأموي الناصر في 9 ذي الحجة 345 هـ بعد وفاة ابن مسرة منشورا أدان فيه حركة ابن مسرة ونقله ابن حيان في المقتبس حرره الوزير الكاتب عبد الرحمن بن عبد الله الجالي، فانطلقت حملة قمع ومطاردة الحركة المسرية اشتدت في عهد قاضي الجماعة محمد بن يقي بن زرب (ت 367 هـ) وإلى جانبه كثير من الفقهاء والمحدثين مثل عالم اللغة أبو بكر الزبيدي والمحدث المقرئ أبو عمر الطلمنكي، و قام الفقهاء بإخراج كتب ابن مسرة من مكتبة الحاجب المنصور بن أبي عامر و عبد الله بن محمد بن نصر بن أبيض بن محبوب بن ثابت الأموي النحوي من أهل طليطلة سكن قرطبة واستوطنها يكنى: أبا محمد عني بالحديث وجمعه وتقييده وضبطه، وكان أديبا حافظا نبيلاً سمع الناس منه وجمع كتابا في الرد على محمد بن عبد الله بن مسرة أكثر فيه من الحديث والشواهد وهو كتاب كبير حفي²)).

من المصريين الذين تعرضوا لحصار الدولة الأموية والفقهاء المالكية : عبد الرحمن بن المهندس، الذي كان يلقب بإقليدس الاندلس، وصاعد بن فتحون بن مكرم السرقسطي الذي وأودع السجن ، واستمر فكر المصري رغم كل التحديات وبرز هذا الفكر بقوة في فلسفة أبي بكر بن عربي الذي ذكر ابن مسرة في كتابه الفتوحات المكية وعن طريق ابن عربي سينتقل فكر ابن مسرة الى المشرق³.

6.1. كبار مريدي ابن مسرة . كون ابن مسرة جماعة من المريدين تحولت مع مرور الوقت إلى مدرسة صوفية انتشر أتباعها في كل أرجاء الأندلس خاصة في قرطبة جيان وألمريا وانتقل مع مريديه إلى جبل الشارات (سيرا ملونا) شمال قرطبة معتكفا ومنعزلا عن تحرش الخصوم في قرطبة.

1 - نفسه.

2 - نفس المصدر، ص 78.

3 - أنظر مقال نصيرة طيطح ، ص 294.

يقول بالنشأ نقلا عن المصادر العربية - وقدت هذه الجماعة من المريدين يجتمعون بجبل الشارات ، يبدو أنه كانت لها طريقة في التصوف تشبه طريقة ذب النون الاخيمي المصري والنهرجوري لهذا أثاروا حولهم شكوك الفقهاء والسلطة الأموية.

1.6.1. الفرع الأول الفرع الأول من المسريين. الذي أخذوا أصول التصوف من ابن مسرة وكان متصوفة هذا الفرع مداومين عل حضور حلقاته ومصاحبته حتى وفاته أما أشهر تلامذته الذين صحبوه أو آمنوا بمذهبه دون صحبة؟ عدا الذين تقدمت الاشارة إليهم فهم:

أحمد بن غانم ويعرف بالمديني وحج مَعَه حَجَّتَيْن كما خرج معه الى الحج معه أَيُّوب بن فتح قال ابن الأبار ((أخذ كتبه عَنْهُ وَكَانَ كَثِيرَ الْعَمَلِ مُجْتَهِدا لَهُ نُسْكٌ وَزَهْدٌ تُؤَيِّي سَنَةً خَمْسَ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ))¹، و زاد ((وَصَحَبَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْرَةَ الْجَبَلِي قَدِيمًا وَاخْتَصَّ بِمِرَافَقَتِهِ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ وَلَا زَمَهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ)) يقول ابن المديني أن ابن مسرة لما خلى و مريديه بجبل الشارات شمال قرطبة مقام خلوته مع مريديه بنى بيتا على شكل بيت النبي ﷺ في المدينة وقال ((هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ بَنَيْتُهُ عَلَى تِلْكَ الْحِكَايَةِ فِي الْعَرْضِ وَالطُّولِ بِأَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانًا))² ومحمد بن سليمان العكي يعرف بابن الموروري (ت 357هـ) قال ابن أبار ((صَحَبَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْرَةَ الْجَبَلِي وَأَخَذَ كُتُبَهُ وَضَبَطَهَا وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالزَّهْدِ وَتُوِّي لِاثْنَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ))³ و خليل بن عبد الملك ت 323هـ قال ابن الابار ((من أهل قرطبة صحب محمد بن مَسْرَةَ الْجَبَلِي وَتَفَقَّهَ فِي كُتُبِهِ وَضَبَطَهَا وَكَانَ غَايَةً فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ كَثِيرَ الْعَمَلِ وَكَانَ النَّظَرُ إِلَيْهِ مَوْعِظَةً يَذْكُرُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ)) و أيوب بن فتح من أهل قرطبة وكان ممن رحل مع ابن مسرة الى الحجاز (ت 345هـ)، قال ابن الابار ((خَلِيلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ صَحَبَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْرَةَ الْجَبَلِي وَتَفَقَّهَ فِي كُتُبِهِ وَضَبَطَهَا وَكَانَ غَايَةً فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ كَثِيرَ الْعَمَلِ وَكَانَ النَّظَرُ إِلَيْهِ مَوْعِظَةً يَذْكُرُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ))⁴ وأيوب بن سليمان إسماعيل الطليطلي (ت 343هـ) قال ابن الأبار ((وَكَانَ قَدِيمَ الْجَوَارِ لَهُ طَوِيلُ الْمَلَازِمَةِ))⁵ والياس بن يوسف

1 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج 1 ص 165.

2 - نفس المصدر ، ج 1 ص ص 192، 193.

3 - نفس المصدر ، ج 1 ص 294.

4 - نفس المصدر ، ج 1 ص 251.

5 - نفس المصدر ، ج 1 ص 165.

الطليطلي(ت321هـ) وأخوه عون¹، وعبد الوهاب بن منذر قال ابن الأبار ((كان ناسكاً عفيفاً منبضاً عن الناس، كثير الصلاة، مذكراً بالله تعالى)) اتهم بالاعتزال وكان يوم بمسجد بدر داخل المدينة. وتوفي في آخر ربيع الأول من سنة ست وثلاثين وأربع مئة ذكره ابن حبان² وحَيَّ بن عَبْدِ الملك قال ابن الأبار ((وَكَانَ قَرِيبَ الْجَوَارِ مِنْهُ يَسْكُنُ مَعَهُ الْأَيَّامَ الْكَثِيرَةَ فِي مَتَعِبِهِ بِالْجَبَلِ (وجبل الشارات)³، نلاحظ في الأخير أن أغلب مريدي ابن مسرة كانوا من القرطبيين الذين كانوا يصاحبونه ويرافقونه الى خلوته بجبل الشارات.

2.6.1. الفرع الثاني: ممن ينسب الى تصوف ابن مسرة. وهم المسيرون الذين أخذ أفكار التصوف من تلامذته مثل الأخوين منذر بن سعيد وأضحى بن سعيد أخذ كتبه ولم يصاحبه قال ابن الأبار ((كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالانْقِبَاضِ مُعَلِّمًا بِالْقُرْآنِ))⁴؛ ممن برز أعلام هذا الفرع من المسيرين إسماعيل بن عبد الله الرعيني ، عالم بالنحو واللغة وشاعر وكان صاحب نسك واجتهاد كبير في الصيام والصلاة، وكان يقول بأن الأجساد لا تبعث أبدا وإنما تبعث الأرواح فقط ، وأن النبوة مكتسبة وقوله بزواج المتعة وأن دار الاسلام دار كفر مباحة دماءهم وأموالهم. نقل ابن حزم((إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّعِينِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ بَعْثَ الْأَجْسَادِ وَيَقُولُ أَنَّ النَّفْسَ حَالَ فِرَاقِهَا الْجَسَدَ تَصِيرُ إِلَى مَعَادِهَا فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ⁵، والنحوي اللغوي الشاعر أباؤ بن عيسى بن مُحَمَّد الغافقي(ت377هـ)⁶ والمحدث أحمد بن فَرَج بن مَنْتَهَل بن قيس(ت344هـ)⁷، ومُحَمَّد بن أحمد بن حَمْدُون بن عيسى بن علي بن سَابِق الخولاني(ولد350هـ): الحافظ للأخبار والأنساب، العالم باللغة، قال ابن الفرضي ((مَشْهُورًا بِاعْتِقَادِ مَذْهَبِ ابْنِ مَسْرَةَ لَا يَتَسَتَّرُ. وكان مولعاً بالتشريق في صلاته))⁸.

1 - نفس المصدر ، ج1 ص173 وج4 ص39.

2 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 361

3 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج1 ص 233، 234.

4 - نفس المصدر ، ج1 ص 173.

5 - ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجيل بيروت 1416هـ/1996م. ج 4 ص138.

6 - ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ص 31.

7 - ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت852هـ): لسان الميزان، ط2، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلي للمطبوعات بيروت - لبنان 1390هـ/1971م. ص417 وابن الفرضي ج1 صص 31، 32، 53

8 - ابن الفرضي ، نفس المصدر، ج2 ص84.

رغم كل المحن كانت أعداد المعتنقين للتصوف المسيحي عبر العصر الوسيط كبيرة جمعت أسماءهم كتب

التراجم

جدول لبعض أتباع مدرسة ابن مسرة من الجيل اول الى الجيل

الثالث(ما بين 266-638هـ/899-1240م)¹

الجيل الأول: بعد سنة 266هـ/899م	محمد بن حزم بن بكر التتويحي المعروف بابن المديني	أحمد بن غانم
	حي بن عبد الملك	أيوب بن فتح
	اللياس بن يوسف الطليطالي (ت940/321م)	وخليل بن عبد الملك (ت942/323م)
	أحمد بن غانم ابن صفيق محمد بن وهب القرطبي	أيوب بن سلمان اسماعيل الطليطالي (ت954/343م)
	محمد بن فضل الله بن سعيد	أحمد بن وليد (ت986/376م)
الجيل الثاني: بعد سنة 370هـ/980م	رشيد بن فتح الدجاج (ت986/376م)	إيان بن عثمان (ت987/377م)
	ابن الامام (ت990/380م)	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت992/382م)
	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت992/382م)	عبد العزيز بن حكم الأموي (ت997/387م)
	وسعيد من بيت البلوطي توفي سنة (ت1013/404م)	اسماعيل بن عبد الله الزعيني (ت432هـ/1040م)
	اسماعيل بن عبد الله الزعيني (ت432هـ/1040م)	
الجيل الثالث: بعد سنة 500هـ/1107م	أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف (ت536هـ/1141م)	ابن بكر محمد بن الحسين المروقي (ت536هـ/1141م)
	أبا الحكم ابن بزيان (تحوالي 536هـ/1141م)	أبا القاسم بن قمي (ت546هـ/1151م)
	محي الدين محمد بن علي بن العربي (ت638هـ/1240م)	شمس الدين القرطبي (ت671هـ/1173م)

الاستنتاج.

تعد ممدسة إين مسرة أول مدرسة صوفية أخذت بمنهج الفلاسفة، و رغم الحصار الذي تعرضت له إلا أنها عرفت رواجاً و اقبالاً في المغرب و المشرق حتى بعد وفاة ابن مسرة ويبدو أن أفكاره الصوفية قد تنبأها أجيال من صوفي الباطن من بعده.

1 - نصيرة طيطح : المرجع السابق، ص 296.

المحاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبداية العهد الموحيدي بالأندلس.

المقدمة

تميز العهد المرابطي بالأندلس بظهور ثلاث تيارات صوفية ، هي مدرسة ابن العريف ومدرسة ابن برجان وحركة ابن قسي ذات البعد الساسي في مرحلة الانهيار المرابطي وانتقال الأندلس للحكم الموحيدي، سنعرض لهذه الفرق الصوفية في هذه المحاضرة.

1. مدرسة ابن العريف في الأندلس وامتداداتها في بلاد المغرب 481-536هـ /1088-1141م.

1.1 . تعريف ابن العريف . هو ابن العريف أحمد أبو العبّاس بن محمّد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المري(481 . 526هـ)،نسبته إلى ألمرية التي استوطنها أبوه وفيها أقبل على طلب العلم، غلب عليه الزهد و الورع فصار قبلة ومقصد الطلبة و المريدين والعبّاد و الزهاد ، قال المؤرخ الذهبي ((وَلَيْسَ الْحِرْقَةُ مِنَ الصَّوْفِي أَبِي بَكْرٍ عَبْدَ الْبَاقِي بْنِ الْحَجَّارِيِّ ت502هـ))¹، قال عنه ابن بشكوال((كان متناهما في الفضل والدين، منقطعاً إلى الخير، وكان العبّاد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه فيحمدون صحبته، وسعي به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة صدر الليل، ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر من 536هـ، واحتفل النَّاسُ لجنازته، وندم السلطان على ما كان منه في جانبه وظهرت له كرامات))²،وقال عنه المؤرخ أبو القاسم الضبي((فقيه زاهد إمام في الزهد عارف محقق صحبه ابن

1 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط 14 ص 487 .

2 -ابن بشكوال، المصدر السابق ، ص83.

عم أبي، الزاهد أبو جعفر، قال لي عنه القاضي أبو القاسم بلدية: إنه كان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً، توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة،... وشعره في طريقة الزهد كثير)).
ومما أنشد في التصوف:

شدوا الركاب وقد نالوا المني بمنى وكلهم بأليم الشوق قد باحـا
راحت ركابهم تندى روائحها طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
يا واصلين إلى المختار من مضر زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا
إننا أقمنا على شوق وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا¹

2.1. تصوف ابن العريف. يقوم التصوف عند ابن العريف الصنهاجي على الالتزام بتعاليم الكتاب والسنة والسعي إلى تصفية النفس وتجريدها من علائق البدن باستخدام مجاهدة النفس بالقيام الصيام والخلوة والذكر. نقترّب من التصوف العرفاني قال الذهبي في تاريخ الاسلام ((كان العبّاد يأتونه ويجمعون لسماع كلامه في العرفان))².

يتميز أتباع هذا الاتجاه بالمسألة على عادة الزهاد والمتصوفة ، وينسبون سند مذهبهم الصوفي إلى الحسن البصري، ولا نعرف مدى تأثير ابن العريف بتصوف ابن مسرة لكن الأكيد أنه لم يقل مثله بالحلول.
يكون تصوف ابن العريف قد تأثر بشيخيه وهما من كبار علماء الأندلس أولهما أبو الحسن علي بن محمّد البرجي (ت 509هـ)، الذي كان من المنتصرين لكتاب " إحياء علوم الدين " ³ وثانيهما العالم المحدث أبو علي الصديفي الذي كانت له رحلة إلى المشرق ولما عاد واستوطن مرسية ألّف حوله الناس للأخذ عنه العلم والسلوك الزهدي وقد ألّف له ابن الأبار كتاب "معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديفي" جمع فيه أسماء من صحب هذا العالم الزاهد⁴.

ألّف ابن العريف عدة تصانيف منها " كتاب محاسن المجالس وكتاب مطالع الانوار ومنابع الاسرار⁵.

1 -الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص166

2 - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج36 ص 405.

3 - أنظر ترجمته في عند ابن الأبار، ج3 ص 182.

4 - أنظر الغرميني، المصدر السابق ، ص ص 139، 140.

5 - عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت 1408هـ): معجم المؤلفين، (د ر ط) مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د ت ن). ج 2 ص 164.

3.1. موقف الفقهاء من ابن العريف . من الفقهاء الذين وقفوا ضد تيار ابن العريف الفقيه القاضي محمد بن إبراهيم الغساني المعروف بابن الأسود مما دفع الأمير المرابطي علي بن يوسف الى ترحيله نحو مراكش مع بعض أتباعه وبقي هناك الى أن توفي¹.

جاء في تاريخ الاسلام للذهبي ((وبَعْدَ صَيِّئِهِ، فثار الحسدُ في نفوس فقهاء بلده، فرفعوا إلى السلطان أنه يروم الثورة والخروج كما فعل ابن تومرت، فأرسل ابن تاشفين إليه وقيده، وحُمل إلى مراكش، فتوفي في الطريق عند مدينة سلا))²، بينما قال السلاوي ((وسعى به إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فأمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة المذكورة واحتفل الناس لجنازته وندم أمير المسلمين ... ودفن بقرب الجامع القديم الذي بوسط مراكش في روضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي قلت وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مراكش عليه بناء حfil))³.

4.1. أتباع ابن مسرة. من خاصة مريدي ابن العريف عتيق بن عيسى بن أحمد الخزرجي، من ذرية عبادة بن الصّامت (ت 548 هـ)، وله "برنامج" ضمّنه رواياته و"رسالة في الفتن والأشراط"، ومصنّف جمّع فيه "كلام شيخه ابن العريف نثرًا ونظمًا" لعله هو "مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة" الذي حققته الدكتوراة عصمت دندش ونشرته دار الغرب الإسلامي⁴.

العالم المحدث محمد بن الحسين الانصاري الخزرجي الشهير بالميورقي (ت 537هـ) سكن غرناطة، أدى مناسك الحج ثم طاف ببلاد الأندلس ويبدو أنه كان ظاهريا المذهب . غرّب مع ابن العريف و ابن برجان ، ثم تمكن من الهروب الى الشرق ثم استقر ببجاية إلى أن توفي سنة 537هـ ، قال الأنصاري في الذيل و التكملة ((امتحن من قتل علي بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه ضحبة أبي الحكم ابن برجان وأبي العباس ابن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتلًا ثم سرحه، وعاد إلى الأندلس وأقام بها يسيرًا، ثم انصرف إلى

1 - أنظر مميزات التصوف عند ابن العريف، الغرميني، ص 168 فما بعدها.

2 - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 36 ص 405.

3 - السلاوي أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي (1250 - 1315 هـ / 1835 - 1897 م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء المملكة المغربية 1418هـ/1997م. ج 2 ص 76.

4 - الأنصاري محمد بن محمد بن عبد الملك (ت 703 هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2012 م. ج 3 ص 105.

المشرق، فتوفي بالجزائر في شهر رَمَضانِ سبع وثلاثين وخمس مئة¹، وقال ابن الأبار ((وَصَارَ آخِرًا إِلَى بَجَايَةِ هَارِبًا مِنْ صَاحِبِ الْمَغْرِبِ حِينَئِذٍ بَعْدَ أَنْ حُمِلَ إِلَيْهِ هُوَ وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ وَأَبُو الْحَكَمِ بْنِ بَرَجَانَ وَحَدَّثَ هُنَالِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ))².

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري قال الأنصاري ((بَلَنَسِيَّ الْأَصْلَ (ت581هـ) ... وَلَا أُبْعِدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَ أَكْثَرَ الشَّيُوخِ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْهُمْ بِالْإِجَازَةِ، بَلْ قَدْ كَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ مَشْهُورٌ بِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ مِنْهُمْ))³.

سليمان بن عمر بن يوسف الكِنَانِي، مَالَقِيّ، اسْتَوْطَنَ مِصْرَ وَبَهَا تَوَفَّى، قَالَ الْإِنْصَارِيُّ ((كَانَ مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعُزُوفِ عَنِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ صَاحِبَ مُجَاهَدَاتٍ وَكَرَامَاتٍ ... رَوَى بِالْأَنْدَلُسِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ وَلَا زَمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَأَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ، وَجَالَ بِالشَّامِ وَغَيْرِهَا آخِذًا عَنْ مَشِيخَةِ الْعُلَمَاءِ هُنَالِكَ))⁴.

علي بن إسماعيل بن رزق بن أبي ليلي التُّجَيْبِيُّ فَقِيهًا فَاضِلًا مُحَدِّثًا ، مَرْوِيٌّ، مِنْ مُرْسِيَةِ صَحْبِ ابْنِ الْعَرِيفِ ، وَتَوَفَّى نَحْوَ (316هـ))⁵.

علي بن خَلْفِ بْنِ غَالِبِ بْنِ مَسْعُودِ الْإِنْصَارِيِّ، الْعَارِفُ (ت568هـ) مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ، وَصَحْبِ مِنْهُمْ ابْنُ بَرَجَانَ، وَأَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ الْعَرِيفِ⁶.

قَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ صَالِحِ بْنِ قَيْصَرَ الْإِنْصَارِيِّ، مَرْوِيٌّ، سَكَنَ دَانِيَّةَ تَلَا بِالسَّبْعِ عَلَى ابْنِ الْعَرِيفِ⁷.
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ ثُمَارَةَ الْحَجَرِيِّ ... صَحْبِ ابْنِ الْعَرِيفِ⁸.
مُوسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى صَحْبِ ابْنِ الْعَرِيفِ بِالْمِرْيَةِ، كَمَا أَلْبَسَهُ شَيْخُهُ ابْنُ الْعَرِيفِ الْخَرْقَةَ⁹.

1 - نفس المصدر، ج 4 ص 185، 186.

2 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1 ص 359.

3 - الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ج 1 ص 607.

4 - نفس المصدر، ج 2 ص 74.

5 - نفس المصدر، ج 3 ص 162.

6 - نفس المصدر، ص 175، 176، 177.

7 - نفس المصدر، ص 460.

8 - نفس المصدر، ج 4 ص 17.

9 - الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 43 ص 165.

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي الْخَلِيلِ التَّمِيمِيُّ (ت557هـ)، مِمَّنْ تَلَا بِالسَّمْعِ ابْنَ الْعَرِيفِ، وَصَحَّبَهُ وَنَحَا طَرِيقَهُ¹ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثْمَانَ الْخَزَرَجِيِّ، مَرْوِيُّ سَكَنَ مَالِقَةَ وَكَانَ حَيًّا سَنَةَ 577هـ².

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى الْكُتَامِيُّ، سَكَنَ قَصْرَ عَبْدِ الْكَرِيمِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ الْمَدْرَةِ، صَحَّبَ ابْنَ الْعَرِيفِ³ وَآخَرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَرِيفِ الرَّاهِدِ مُوسَى بْنُ مَسْدِي⁴.

2. مدرسة أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن برجان. ت 526هـ.

1.2. تعريف ابن برجان. من كبار المتصوفة في العهد المرابطي غربه المرابطون مع ابن العريف إلى مراكش، وتوفي في السجن بعد مناظراته مع الفقهاء المالكية بمراكش سنة 526هـ ربما لادعائه الإمامة، من مؤلفاته شرح أسماء الله الحسنى وتفسير القرآن الكريم تفسيراً صوفياً على الطريقة الباطنية ؛ ذكره أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبَّارُ فَقَالَ ((كان من أهل المعرفة بالقراءات، والحديث، والتَّحْقُّقُ بعِلْمِ الكلام، والتَّصَوُّف، مع الزُّهْد، والاجتهاد في العبادة))⁵.

عاصر ابن برجان الشيخ المتصوف ابن العريف، وكان على صلة بالنظر لانتمائه الى فئة المتصوفة وكانت مراسلات بينهما واستشارات متبادلة الفرق، غير أن علم الكلام غلب على ابن برجان والفقهاء غلب على ابن العريف⁶.

2.2. تصوف ابن برجان. يرى ابن برجان أن الانسان جوهر وسط بين الله والطبيعة فهو مرآة تنعكس فيها أسماء الله تعالى الحسنی عندما يتخلق بها في حياته في شرحه لكتاب أسماء الله الحسنی يعطي اهمية لمدى تخلق العبد بتلك الاسماء بناء على القاعدة التي كان يؤمن بها ((أن الانسان خلق على صورة الرحمن))،

كان يؤمن باشتقاق أسماء الله تعالى وأنها غير توقيفية ، فهو يوصلها الى 130 اسما.

1 - الانصاري، الذيل والتكملة ، ج4 ص153.

2 - نفس المصدر، ج4 ص424.

3 - نفس المصدر، ج5 ص199.

4 - الذهبي، تاريخ الإسلام 36 ص ص 404، 405.

5 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص21.

6 - غرميني، المرجع السابق، ص ص 119، 120.

أول الخلق عند ابن برجان فهو ((الإمام المبين)) الذي تفرع منه كل الخلق انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾¹ مخالفاً من قال العرش أو المادة الأولى أو القلم وهو اللوح المحفوظ في قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾².

في خلق الله للعوالم و المخلوقات انتهى الى الاعتقاد إلى أن هناك حلقة وسطة بين الخالق و المخلوق سماها ((الحق المبين)) معتمداً على قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾³ وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾⁴، و الحق نور خاص له أولوية في الظهور و منه تفرعت الأكوان بإرادة الله و قدرته⁵.

يقوم تفسير ابن برجان على التفسير بالرأي والتأويل مرتبطاً باهتمامات وحسابات فلكية زمنية رياضية توصله الى تنبؤات مستقبلية⁶، مثال على ذلك ما ورد عند الذهبي بعد احتلال الصليبيين بيت المقدس سنة 487هـ قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَفْتُ أَنَا عَلَى مَا فَسَرَهُ ابْنُ بَرَجَانَ مِنْ أَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ عَامَ سَبْعَةِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَبْقَى بِأَيْدِيهِمْ إِلَى تَمَامِ خَمْسِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً⁷.

3.2. أهم مؤلفاته: "تفسير القرآن" لم يكمله كتب فيه على طريق الصوفية ، وكتال "شرح أسماء الله الحسنى"⁸، قال حاجي خليفة ((وهو كتاب كبير جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المائة والثلاثين، كلّها مشهورة مروية، وفصل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول. الأول: في استخراجها. الثاني: في الطريق إلى تقريب مسالكها. الثالث: في الإشارة إلى التعبد بحقائقها))⁹.

1 - سورة ياسين، الآية 12.

2 - سورة الأعراف، الآية 145.

3 - سورة الأنبياء، الآية 16

4 - سورة يونس ، الآية 05.

5 - غرميني، المرجع السابق ، ص ص 123 – 126.

6 - نفس المرجع ، ص 128.

7 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 12 ص 484.

8 - ابن الابار، التكملة ، ج 3 ص 21 والزركلي ج 4 ص 6.

9 - حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، ج 2 ص 1031.

4.2. موقف الفقهاء ودولة المرابطين من الفلسفة الصوفية لابن برجان. قال الذهبي ((أخذ " الأمير علي بن يوسف " هذان، وغربا، واعتقلا، توهم ابن تاشفين أن يثورا عليه كما ففعل ابن تومرت)) يقصد بن العريف وابن برجان¹.

5.2. أتباع ابن برجان. كان أتباع ابن العريف أكثر من أتباع ابن برجان عددا رغم أن ابن العريف كان في النهاية مريدا لابن برجان، من تلامذته القليلين عبد الله بن محمد المالقي (ت 574 هـ) صار في العهد الموحيدي شيخا لطلبة المدينة ورئيسا في النظام التعليمي واكتفى بالجانب العلمي، والصوفي محمد بن عبد الله بن خليل القيسي من اشبيلية غلب عليه الحديث ت 570 هـ بمراكش².

من أشهر مريديه عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي الفقيه العالم بالحديث والأدب واللغة وبرز في سلوك عبد الحق الاشبيلي تأثير تربية ابن برجان فكان يقبل على الوعظ والتذكير والتصوف، وكان له كتاب في الرقائق وديوان شعر في الزهد ، ثم كان لقاءه بالشيخ أبي مدين شعيب الذي أثر على تصوفه بعد ابن برجان³.

قال ابن الزيات التادلي في كتاب التشوف ((لما أشخص أبو الحكم ابن برجان من قرطبة إلى حاضرة مراكش، سئل عن مسائل عييت عليه، فأخرجها على ما تحتمله من التأويل. فانفصل عما ألزمه من النقد، وقال أبو الحكم: "والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي. يعني السلطان. فمات أبو الحكم. فأمر السلطان أن يطرح على المزبلة، ولا يصلى عليه، وفلذ من تكلم فيه من الفقهاء، لكن الإمام الصوفي الشهير أبا الحسن علي بن حرزهم استنفر خديمه لكي ينادي في الأسواق " احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله " فاستجاب أهل مراكش للشيخ))⁴.

3. أبو القاسم احمد بن القاسم بن قسي م ت 546 هـ/1151م. المتصوف السياسي

الثوري .

1.3. تعريف ابن قسي . هو رومي الأصل من بادية شلب من ابناء أثرياء المولدين عرفوا بنفوذهم وتوليهم

1 - الذهبي، تاريخ الاسلام، ج36 ص ص 316، 317.

2 - الغرميني، المرجع السابق، ص 130.

3- نفس المصدر ، ص 132.

4 - ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى(ت617هـ/1220م):التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ،تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب بالربط المملكة المغربية1997م. ص 170.

للو وظائف المخزنية ومناصب القضاء في العهد المرابطي استعرب ، تأدب وقال الشعر ثم عكف على التصوف فكثر مريدوه ، اشتغل بالأعمال المخزنية ثم اتجه الى الزهد ربما بعد لقائه بابن العريف قبل أن يستدعيه المرابطون الى مراكش، وابن قسي من الثائرين بالأندلس على المرابطين بعد عودته ، ادعى المهديّة وتسمى بالإمام ثم خاض ثورة على المرابطين ثم سالم الموحدين الى الموحدين سنة 540هـ م ثم عاد إلى الثورة على الموحدين و في الأخير قتله أهل مدينة شلب¹ .

2.3. ثورة ابن قسي 539-540هـ أو ثورة المريدين. مما ذكره الذهبي قوله ((كان في بدء أمره على سنن الجمهور ثم نزع عن ذلك وأقبل على التصوف واقتفى سبيلهم في تحريف النصوص وتأويل الظاهر ثم رحل إلى ابن العريف بالمزيلة، وأقام عنده وكثر أتباعه فسمى الأمر إلى علي بن يوسف بن تاشفين ... وعاد بن قسي إلى اشبيلية وابتنى مسجدا ببعض قراها وتحدث بالأباطيل من غزا وجد طعم العسل من لبنها وزناير من بطون الثمار))².

قال عنه المؤرخ المراكشي ((وقام بمغرب الأندلس دعاة فتن ورؤوس ضلالات؛ فاستفزوا عقول الجهال، واستمالوا قلوب العامة، من جملتهم رجل اسمه أحمد بن قسيّ كان في أول أمره يدعي الولاية، وكان صاحب حيل ورب شعبذة ، وكان مع هذا يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة، ثم ادعى الهداية؛ بلغني ذلك عنه من طرق صحاح))³.

3.3. تصوف ابن قسي. يبدو على ابن قسي تأثره بمن عاصره من المتصوفة كابن العريف والمتصوف أبي حامد الغزالي من خلال كتابه الإحياء ويبدو تأثره كذلك بدعوة ابن تومرت لما ادعى المهديّة⁴ ومدرسة ابن مسرة ويظهر ذلك من خلال قوله :

أَقَامَ عَلَى سَاقِ الْمَسْرَةِ نَجْلَهَا لَمَّا رَمَزَ الْأَسْرَارَ وَاسْتَمَطَرَ الْمَرْنَا¹

1 - ابن الأبار محمّد بن عبد الله (ت 658هـ): الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف - القاهرة 1985 م. ج2 ص198، الزركلي المرجع السابق، ص116.

2 - ابن حجر، المصدر السابق ، ص1 ص247 .

3 - عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ط1 ، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت 1426هـ /2006م ، ص155.

4 - ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج2 ص198.

ألف ابن قسي كتابا في التصوف بعنوان "خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين مختصر في التصوف"، شرحه محيي الدين ابن عربي² ضمنه أفكاره الصوفية نلخصها في ثلاثة عناصر :

• **الوجودي الإلهي**: اقتبسها من خلال قوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَمَّا وَابْتَعْتُمْ بِهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُونُوا فِي سَعْيٍ مَلْهُومٍ﴾³، فسرهما أنه يستوي أن تدعو الله عز وجل باسم من أسمائه ، والله أسماء ذاتية لا علم للناس بها .

• **الوجودي الكوني** ويقسمه الى ستة أقسام:

- ✓ **الموجود الأول**: ليس هو "الله" الصفات التي يتحقق بها اسم الله (كالقدرة والإرادة والسمع والبصر
- ✓ **الموجود الثاني**: وهو فلك الرحمة أو العرش الكريم، خلقه الله من ظاهر الموجود الأول، وخلق من ظاهره روح القدس وهو العرش الذي استوى عليه الرحمن.
- ✓ **الموجود الثالث**: هو الكرسي والعرش العظيم الذي خلق الله من ظاهره القلم الأعلى واللوح المحفوظ وإليه تنتهي ملاحظة العارفين ومكاشفة النبيين والمرسلين ما عدا "محمد" (ص) فإنه كوشف بما فوق ذلك وشاهد حضرة القرب من الله.
- ✓ **الموجود الرابع**: فلك العرش المجيد الذي خلق الله من ظهره جبريل -أي عالم الملائكة- عالم السر والوحي.

✓ **الموجود الخامس**: فلك السماء الذي خلق الله من ظاهره آدم، أي العالم الإنساني.

✓ **الموجود السادس**: فلك الأرض الذي خلق الله من ظاهره الحيوانات والحشرات.

• **مسألة المعرفة**: مصدرها ومنهجها. يرى ابن قسي أن المعرفة نوعان .

✓ **نقلية (الإخبارية)** طريقة تلقيها الرسل والأنبياء

✓ **الالهامية (الكشفية)** تنكشف تلقائيا بغير واسطة ولا وساطة للناسك المتعبد، يحصل النَّاسك عن

طريق الإيمان الصادق فيحصل معناها ذوقا يمنحها الله سبحانه وتعالى بدون وسائط، وهي تطابق قول

ابن مسرة بأن النبوة مكتسبة قد يصل إليها النَّاسك المتعبد. يكون ابن قسي بذلك قد اعتمد بهذا

1 - الششتري، بو الحسن: ديوان أبي الحسن الششتري، ط1، تحقيق علي سامي ، دار المعارف الإسكندرية 1960 ص75.

2 - الزركلي ، المصدر السابق ، ج 1 ص116.

3 - سورة الاسراء ، الآية 110.

التصنيف على الاصطلاحات القرآنية التي أخضعها لتأويلاته الباطنية التي تبعتها على معانيها الحقيقية ، فعنوان كشف النعلين استنبطه من الآية ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾¹.

4.3. أثر فكر ابن قسي الصوفي . كان لفكر ابن قسي الصوفي صداه في تصوف “ابن سبعين” (ت 668هـ) وقد ذكر “الششتري” (ت 668هـ) ابن قسي في عداد شيوخ الطريقة السبعينية، يقول الششتري في قصيدته النونية التي يضع فيها سلسلة السند للطريقة الصوفية السبعينية كما تأثر بالمسرية :

وَلَا بِنَ قَسِيٍّ “خَلْعُ نَعْلٍ” وَجُودِهِ وَلَيْسَ مِنَ الْأَسْرَارِ فَاسْتَقْطَرَ الْمَرْنَا²

يظهر أن أبا بكر بن عربي قد تأثر هو كذلك بفكره الصوفي الباطني فقام بشرح كتابه شرح خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين.

الاستنتاج.

ظهر أن العهد المرابطي في الأندلس قد شهد نمو حركة التصوف العرفاني والتصوف الباطني ، وتبين أن الفكر الصوفي المسري لم ينقطع تأثيره على صوفية الأندلس والغرب الإسلامي ويظهر ذلك في أفكار ابن قسي وغيره من صوفية الباطن.

1 - سورة طه ، الآية 11 . محمّد العدلوني: الإدريسي فلسفة ابن قسيّ الصوفية: وأثرها على التصوف المتأخر بالمغرب الإسلامي ، مجلة حكمة ، تاريخ الاطلاع <https://hekma.org/2022/10/24>

2 - الششتري أبو الحسن علي بن عبد الله النميري : ديوان أبي الحسن الششتري، ط1، تحقيق علي سامي النشار دار المعارف الإسكندرية 1960. ص75.

المحاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي (558-)

638هـ) بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق

المقدمة.

نتناول في هذه المحاضرة الفكر الصوفي عند أحد أشهر الصوفيين الباطنيين في العالم، إنه الصوفي أبو بكر ابن عربي صاحب تصوف وحدة الوجود، وسنعرف ابن عربي ومذهبه في التصوف ومختلف الآراء التي تناولت فكره الصوفي.

1. تعريف ابن عربي ، تعليمه ومؤلفاته.

1.1 تعريف ابن عربي. هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي الشهير بمحيي الدين بن عربي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه مريدوه بالشيخ الأكبر وسلطان العارفين وابن أفلاطون ولقبه الغبريني بابن سراققة ؛ولد في مرسية قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتقل الى اشبيلية ثم قام برحلته مارا على بجاية سنة 597هـ بعد مغادرة الشيخ أبا مدين شعيب المدينة ووفاته بتلمسان ، فآخذ عن شيوخها ثم رحل إلى المشرق، واستقر في الأخير بالشام، توفي بدمشق ودفن بقرية الصالحية في سفح جبل قاسيون.

لما انتقل ابن عربي الى اشبيلية مع أبيه عكف على تعلم علوم الدين والأدب والتاريخ والاطلاع على كتب التصوف ، ومن أشهر شيوخه الأندلسيين أبو العبّاس بن الهمام وأبو علي الشكاز .

2.1. مؤلفاته: خلف ابن عربي ما يربو عن مائتي مؤلف قدم فيه آراءه الصوفية ، نذكر منها .

- عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب.
- كتاب تفسير ابن عربي ويضم تفسيره للقرآن.
- كتاب الفتوحات المكية، (من النصوص الصوفية الموعظة في التعمق - كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلا كبيرا في وقته ولازال مصدراً للجدل.

- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصصه لمدرح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة 598 هـ عندما قدم إليها لأول مرة قادما من المغرب.
- كتاب شجرة الكون، يتحدث فيه عن الكون مشبها إياه بشجرة أصلها كلمة "كُنْ"
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام.
- فصوص الحكم.
- كتاب اليقين، تناول فيه موضوع اليقين الذي شغل عديدا من فلاسفة ذلك العصر¹.

2. عموم مذهب محي الدين ابن عربي في التصوف.

جاء تصوف ابن عربي مزيجا بين التصوف وفلسفة وحدة الوجود ربما متأثرا بمؤلفات إخوان الصفا والحلاج وغيرها وأفكار التشيع خاصة المهدية .

1.2. تعريف وحدة الوجود. على كثرة معاني وحدة الوجود عند اللغويين وأهل الكلام والفلسفة ، فوحدة

الوجود عند محي الدين بن عربي هو وأن يكون الشيء حاصلًا في الشيء ومختصًا به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً أو تقديرا ، وهو قسمان :

- خاص يقصد به حلول الرب في بعض مخلوقاته.
- عام وهو حلول الرب في كل مكان.

أما الاتحاد فمصدر من اتحد يتحد وهو الانفراد، كما يعني كون الأشياء شيئا واحداً وهو اتحاد شيء مع شيء آخر بنحو يصبح الاثنان شيئا واحداً، وذلك عندما تزول من الإنسان صفات الجسم وكل ما هو غير روحاني وهو قسمان خاص وعام على نحو الحلول، فالحلول يقارب معنى الاتحاد من حيث أنه صيرورة الشيئين شيئا واحداً، لذا يقال عن الاتحادية أحيانا بأنهم حلوليه²

2.2. الناقدون لفكر ابن عربي الصوفي . يقول ابن خلدون ((ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين

في الكشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا

1 - الغبريني أحمد بن أحمد (ت 714هـ): عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ط2، تحقيق عادل نويّس، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت 1979 م. ص ص 156- و174 الزركلي، ج6 ص ص 281، 282

2 - أمل عوض الكريم محمّد سعيد القرشي: أثر فكر ابن عربي في أسس الفلسفة لما بعد الحداثة " وحدة الوجود، والموقف من العقل " دراسة تحليلية نقدية، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م). ص 120.

الصّحف منه مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربيّ وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنّجم الإسرائيليّ في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة¹.

يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان ((...وصنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة فقال أشياء منكّرة عدها طائفة من العلماء مروفا وزندقة وعدها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين وعدها طائفة من متشابه القول وإن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان وأنه صحيح في نفسه كبير القدر وآخرون يقولون قد قال هذا الباطل والضلال... وقد اعتد بمحيي بن عربي أهل عصره فذاكره بن التّجار في ذيل تاريخ بغداد وابن نفطة في تكملة الإكمال وابن العدم في تاريخ حلب والذكي المنذري في الوفيات وما رأيت في كلامهم تعدياً على الطعن كلهم ما عرفوها أو ما اشتهر كتابه" الفصوص" نعم قال ابن نفطة لا يعجبني شعره وأنشد له قصيدة منها.

لقد حار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير الرهبان
وبيتا لأصنام وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

وهذا على قاعدته في الوحدة²)).

يقول ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط ((ومن بعض اعتقاد النّصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج والشعوذي وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين - وعدّ جماعة ثم قال: "وإنما سردت هؤلاء نصحا لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدّم العالم وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله³)).

يقول ابن تيمية في اعتقاد ابن عربي بفكرة وحدة الوجود متحفظاً ((مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم، وهي مع كونها كفرّاً فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد الكثير، ولأنه لا يثبت

1 - ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ج1 ص619.

2 - ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان، ج5 ص 312، 313.

3 - أبو حيان محمّد بن يوسف الغرناطي الأندلسي الجياني، النّفّزي: البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمّد جميل، دار الفكر - بيروت 1420هـ. ج4 ص 210.

على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه)) .

3.2. المدافعون على تصوف ابن عربي. نذكر منهم شهاب الدين المقري في كتاب " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ((وما وقع لأبي حيان وابن حجر في تفسيره من إطلاق اللسان في هذا الصديق وأنظاره فذلك من فلس الشيطان. والذي اعتقده ولا يصح غيره أن الإمام أبي عربي ولي صالح وعلام ناصح وإنما فوق إليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه على أنه دست في كتبه مقالات يجل قدرها عنها وقد عرض من المتأخرين ولي الله الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعا الله تعالى ببركاته لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدره أهل التحقيق فليطالع ذلك ما أراده والله ولي التوفيق))¹.

يقول الشوكاني في كتاب " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع " ((وقد أوضحت في تلك الرسالة حال كل واحد من هؤلاء وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم، وأفعالهم مخالفا لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها كنهارها، ولم يتعبني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام ، وهب أن المراد بما في كتبهم وما نقل عنهم من الكلمات المستنكرة المعنى الظاهر والمدلول العربي وأنه قاض على قائله بالكفر البواح والضلال الصراح فمن أين لنا أن قائله لم يتب عنه ونحن لو كنّا في عصره بل في مصره بل في منزله الذي يعالج فيه سكرات الموت لم يكن لنا إلى القطع بعدم التوبة سبيل لأنّها تقع من العبد بمجرد عقد القلب مالم يُعْرِغ بِالْمَوْتِ فكيف وبيننا وبينهم من السنين عدّة معين))².

الاستنتاج.

كان التوجه العام لحركة التصوف في الأندلس الأخذ بالزهد القائم على النصوص النقلية والاهتمام بترقية السلوك ، ثم اتجهت الى التصوف العقلي والفلسفي. وتبقى مدرسة ابن مسرة أول مدرسة تصوف أندلسية

1- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عيا، تحقيق مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1358 هـ - 1939. ج 3 ص 55، 56.

2 - الشوكاني محمد بن علي (ت 1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت (د ت ط) ج 2 ص 37.

ذات طابع فلسفي .

يظهر على بعض صوفية الأندلس ربطوا بين التصوف والنشاط السياسي ضد المرابطين بالخصوص.
يظهر أن الفكر المسري لم ينقطع تأثيره على متصوفة الأندلس والغرب الإسلامي نلاحظ ذلك من خلال
أفكار ابن قسي ثم من ابن قسي الى الفيلسوف الصوفي لأبي بكر بن عربي.

المحاضرة رقم 12: التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12-13م.

المقدمة.

ستعرض في المحاضرة الى التصوف الذي قام على المجاهدات والوعظ والتذكير والترغيب والترهيب مع الميل الى الخلوة والانقطاع¹.

سنركز بالخصوص في المغرب الأوسط على حاضرتي بجاية وتلمسان باعتبارهما حاضرتين مركزيّتين كانتا مقصد أهل العلم عامة والمتصوفة خاصة من مختلف بلدان بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

1. بعض متصوفة بجاية في القرنين 6 و 7 الهجريين .

نبدأ عذا العنصر بقول الباحث محمد شريف سيدي موسى عن تعدد الفرق الصوفية ببجاية خلال هذه الفترة جاء فيه ((و قطعت الحركة الصوفية ببجاية و في سائر المغرب الإسلامي أشواطاً بعيدة في القرن الثامن الهجري و أحرزت تقدماً ملحوظاً ، و هو ما أكدته لنا الفيلسوف اللاهوتي ريمون لول (1233 . 1316م)، حيث ذكر جملة من الملاحظات عن حياة الاجتماعية ببجاية أثناء زيارته الثانية لهذه المدينة سنة 1307م ، فوجد فيها فريق من العلماء المتصوفة يؤمنون بالتفكير الفلسفي و الصوفي ، وفريقاً آخر متشبثين بتعاليم أبي مدين شعيب الصوفي السني و فريق آخر يتزعمه الفقهاء المالين إلى تقليد الشيوخ. ويبدو أن هذا الفريق هو الذي كسب المجتمع البجائي في النهاية لأن العديد من الفقهاء اعتنقوا هذا التصوف العملي في الأخير))².

1 - أنظر في تفاصيل هذا التصوف طاهر بو نابي: عصر المتصوفة في المغرب الأوسط الباب الثاني المدارس الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين ، ص ص 172- 257.

2 - سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص 155، 156.

1.1. الفقيه المحدث والقاضي أبو محمد عبد الحق الاشبيلي. الأزدي الإشبيلي الخطيب والأمام المدرس بالمسجد الأعظم ببجاية المعروف بابن الخراط (ت 581هـ/1185م)؛ كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث من تلاميذ ابن برجان ومتأثراً بمدرسة ابن العريف، ارتحل الى بجاية وتزعم التيار الصوفي.

لعبد الحق الاشبيلي من التصانيف في التصوف "العاقبة في ذكر الموت" ، وكتاب "الصلاة والتهجد" ، وكتاب "الزهد" ، كتاب جامع لأشعار في الزهد¹.

من شعره في الزهد قوله

قَالُوا صف الموت يَا هَذَا وشدته فَقَلْتُ وامتد مني عِنْدَهَا الصَّوْتُ
يكفيكم مِنْهُ إِنَّ النَّاسَ إِنْ وَصفوا أَمْرًا يروعهمْ قَالُوا هُوَ الموت²

يقول الغبريني ((سمعت إنه رحمه الله كان يقسم ليله أثلاثاً، ثلثاً للقراءة، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم. وكان مع ذلك متقللاً من الدنيا، مقتصرًا على أقل الكافي منها، وكان مصاحباً وموالياً للفقيه أبي علي المسيلي رحمه الله))³، ولقي عبد الحق الاشبيلي الشيخ أبا مدين شعيب ببجاية، فمدحه بقوله ((هذا وارث على الحقيقة))⁴.

2.1. الفقيه المتصوف أبو زكريا يحيى الزواوي الحسني البجائي (ت 611هـ) ، قدم من بني عيسى ببلاد زواوة ، وكان قد بدأ تعليمه بقلعة بني حمّاد عند الشيخ الفقيه المحدث أبي عبد الله ابن الخراط (ت 581هـ/1185م) وغيره، ارتحل إلى المشرق، ولقي فضلاء الفقهاء وأهل الطرق الصوفية⁵، يقول الغبريني أنه اتجه إلى ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الآخرة ، وجلس بها لنشر علوم الحديث و الفقه و ما يسميه (بعلوم التذكير)، ويضيف ((ولم يكن أحد أجلد منه على القيام والصيام، وما كان عيشه، رضي الله عنه، إلا من المباح كالبقول المطروحة وما جرى مجراها وإذا اشتهى اللحم ينزل إلى البحر فيصيد السمك على الأحجار، وهي لحمه رضي

1 - الغبريني أحمد بن أحمد (ت 714هـ):عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ط2، تحقيق عادل نويّض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979. ص 218.

2 - ابن الأبار ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 58.

3 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 41 ، 42 .

4 - نفسه.

5 - نفس المصدر ، ص 127.

الله عنه، وما من ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد معلم))، كراماته حسب الغبريني أكثر من أن تحصى¹.

3.1. أبو العبّاس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني (ت 644هـ). الذي رحل إلى المشرق ولقي أهل العلم ، ولما رجع إلى المغرب وسكن بجاية أقرأ بها وأسمع طبتها، له علم بالعربية والفقه وأصول الدين، يقول الغبريني ((وحظ من التصوف ونصيب من العبادة، وكان موقرا محترما مهابا))².

4.1. أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنجلاقي (ت 690 هـ). كان ممن اتجه إلى الانقطاع والخلوة، العالم بالفقه وأصول الفقه، وعلم العقائد ووصفه الغبريني بالصالح المتعبد، الوجيه المبارك ، ويضيف و((كان منقبضا عن الناس منقطعا عنهم ومشرفا ومكرما، فيهم، وزاره بعض ملوك وقته في منزله، وانقطع في آخر عمره انقطاعا كليا حقيقيا، وانزوى عن الناس إلى أن توفي))³.

5.1. أبو الحسن علي بن محمد الزواوي البتورغي (القرن 7 هـ يقول الغبريني عن تصوفه ((له عبادة وديانة، وصلاح وانقطاع، وزهد وولاية. وكانت له كرامات ظاهرة متواترة، وكان على سنن السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، ليس عنده من التحريف ولا من التبديل ولا من خزعبلات المتلبسين شيء... و ينسب له الاستجابة عند الدعاء أمام قبره و زاد الغبريني ((وأخبرني بعض من وثقت به، إنه لما حضرته الوفاة حضر ولده وبكوا عليه لفراقه واستوحشوا، فقال: "لا عليكم، مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري واذكروا شكواكم واسألوا الله يفرج عنكم" وما زال أولاده بعده مهما))⁴، و تبين هذه الرواية ان صحت إقبال الناس على التبرك بقبور الأولياء على الأقل في القرن السابع هجري ببجاية

6.1. محمد بن الحسين بن أحمد الميورقي (ت 537هـ). كان على مذهب الظاهر ومن الذين أخذ عنه العلم بالأندلس الفقيه الزاهد أبا علي الصديقي، وكان من الذين امتحنهم الأمير المرابطي علي بن يوسف صحبة ابن برجان وابن العريف، عاد بعدها إلى الاندلس ثم رحل إلى المشرق وآخر مقامه ببجاية⁵.

1 - نفسه.

2 - نفس المصدر، ص 188.

3 - نفس المصدر، ص 265.

4 - نفس المصدر، ص 125.

5 - ابن الأبار، التكملة، ج 1 ص 359 والأنصاري الذيل والتكملة، ج 4 ص 185، 186.

2. بعض متصوفة تلمسان في القرنين 6 و 7 الهجريين التيار الصوفي ببجاية .

1.2. الشيخ الأمير أبو زكريا يحيى بن بوغان أو يوغان أو برغتن الصنهاجي (ت 536هـ)، كانت توبته على

يد شيخه أبي محمد بن عبد السلام التونسي ، قال يحيى ابن خلدون ((ولحق بأولياء الله المستسقى بهم الغيث بعد موت شيخه بالبرية يرعى شاتين له ويقتات بلبنهما بتلمسان))¹.

2.2. أبو عمرو عثمان بن علي بن الحسن التلمساني (ت 542هـ). توفي بسجلماسة قال الزيات ((كان كبير الشأن من أهل العلم والعمل وكان يختم القرآن في كل ليلة))².

3.2. أبو عبد الله العربي رضي الله عنه (أوائل القرن 6 الهجري). قال الغبريني ((ومنهم الشيخ المبارك الصالح الفاضل الواصل، أبو عبد الله العربي رضي الله عنه. كان من أولياء الله المقربين، ومن عباد الله الذين هم لمعالم العلي أخص الوارثين)) كان من الأميين وينسب له الغبريني كرامات كثيرة وسلوكا فيه بعض الغرابة³.

4.2. ابن الحجام أبو عبد الله اللخمي التلمساني (ت 614هـ). الخطيب الواعظ الضري، قال النَّاصري في الذيل و التكملة ((كان فاضلاً صالحاً زاهداً ذا حَظٍّ من الأدب وقرض الشعر، أكمّة، مأل إلى طريقة الوعظ والتذكير... ولم يكن يدخر من عطاياهم قليلاً ولا كثيراً، إنما كان يصرف ما يصل إليه من بني عبد المؤمن وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى أزواجهنّ هذا كان دأبه إلى غاية عُمره نفعه الله... له كتاب "حجة الحافظين و محبة الواعظين، وكان فاضلاً صالحاً زاهداً ذا حَظٍّ من الأدب وقرض الشعر، أكمّة، مأل إلى طريقة الوعظ والتذكير))⁴. انتقل الى مراكش طلبه الخليفة الموحي يعقوب المنصور واختص بصحبة الصوفي أبي زيد الفزازي، أما المؤرخ ابن خلدون فقال ((كان فاضلاً صالحاً زاهداً... واعظ أهل زمانه)).

قال في البحر الوافر:

1 - يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ط1، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م. ج1 ص ص 23، 24.

2 - التادلي ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 617هـ/1220م): التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب بالربط المملكة المغربية 1997. ص 140.

3 - الغبريني، المصدر السابق، ص 49.

4 - الأنصاري محمد بن محمد بن عبد الملك (ت 703 هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2012م. ج5 ص 142.

عَلِيلٌ اقْبِ مِنْ حُبِّ الْحَبِيبِ	غَرِيبِ الْوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَيْبٍ
وَيَشْكُو مَا يَجْنِ مِنَ النَجِيبِ	إِذَا مَا اللَّيْلِ أَظْلَمَ قَامَ يَبْكِي
وَيَنْطِقُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ	يَقْطَعُ لَيْلَهُ فَكِرًا وَذَكْرًا
يَجْلُ مِنَ التَّطَبُّبِ وَالطَّبِيبِ	بِهِ مِنْ حُبِّ سَيِّدِهِ غَرَامِ
يَطِيبُ تَرَابَهُ مِنْ غَيْرِ طِيبٍ ¹	وَمَنْ يَكُنْ هَكَذَا عَبْدًا مَحْبَا

5.2. الفقيه الأصولي والعالم باللغة عبد الرَّحْمَنِ بن يَخْلَفْتَن بن أَحْمَد اليَجْفَشِي الفَازَازِي (ت 627). ولد

بقرطبة وَنَشَأَ بِهَا ثُمَّ سَكَنَ تَلَمْسَانَ وَغَيْرَهَا ، قَالَ ابْنُ الْأَبَار ((وَكَانَ عَالِمًا بِالْآدَابِ مُتَصَرِّفًا فِي فَنُونِهَا كَاتِبًا بَلِيغًا شَاعِرًا مَجُودًا وَافِرَ الْمَادَّةِ قَوِيَّ الْعَارِضَةِ مُشَارِكًا فِي أَصُولٍ... الْفَقْهُ ذَا مَعْرِفَةٍ يَعْلَمُ الْكَلَامَ نَاطِرًا فِي الْفِقْهِ كَتَبَ لِلْوَلَاةِ دَهْرًا طَوِيلًا وَتَحَوَّلَ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْعُدُودِ كَثِيرًا وَلَهُ فِي الزَّهْدِ أَشْعَارٌ سَمِعْتُ مِنْهُ وَسَارَتْ عَنْهُ وَمَالَ إِلَى التَّصَوُّفِ وَشَهِرَ بِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْأَدَبُ مَعَ الْمِيلِ إِلَى عِلْمِ التَّصَوُّفِ وَصَحْبَةِ الْمُرِيدِينَ وَالسَّعْيِ فِي مَطَالِبِهِمْ وَالتَّشَدُّدِ عَلَيَّ أَهْلِ الْبِدْعِ))².

6.2. أَبُو إِسْحَاقَ الطَّيَّارَ وَصَفَهُ يَحْيَى ابْنُ خَلْدُونٍ بِالْغَوْثِ .الذي لم يضطجع أربعاً وعشرين سنة، صائماً بالأنهار قائماً بالليل، وكان قبره مزاراً يتوسل به عامة النَّاسِ بتلمسان³.

7.2. الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بن عبد الواحد المجاصي البكاي. قال يحيى بن خلدون أنه كان من رجال الحديث والزهد كثير البكاء في الصلاة ذا مواعظ حسنة ، نقل يحيى ابن خلدون أنه كان لا يرفع رأسه للسماء أبداً من خشية الله ، نسب له أنه حجَّ بحمار لا يركبه إلا عند الاعياد⁴.

الاستنتاج.

1 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 1 ص 27.

2 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3 ص 47، 48.

3 - نفس المصدر ، ص 33.

4 - نفس المصدر ، ص 33 ، 34

ظهر من خلال ما سبق أن التيار الصوفي بالمغرب الأوسط القائم على المجاهدات والوعظ والتذكير والترغيب
الترهيب والميل الخلوة قد عرف توأصلا في الانتشار في أوساط أهل العلم خاصة في القرنين السادس والسابع
الهجريين.

المحاضرة رقم 13: التيار الصوفي العرفاني

في بلاد المغرب والأندلس.

المقدمة.

وضع الباحث طاهر بونابي تحت عنوان مدارس التصوف العرفاني ، مجموعة من المدارس الصوفية امتد نشاطها في الغرب الاسلامي ، وتضم المدرسة الغزالية ، والمدرسة المدينية والماجرية والشاذلية¹ .

تعريف التصوف العرفاني . التصوف العرفاني هو تصوف قائم على بلوغ المراتب العليا التي تقرب الانسان من ربه عن طريق المجال المعرفي من أجل بلوغ المعرفة العليا ، وهو من أشكال تطهير الروح والنفس والوصول الى تفتح الوعي نحو الارتقاء الى الحكمة الكونية والإلهية ، وترجمت كلمة العرفان الى gnosis باليونانية (الغنوصية عند الذين عربوا الكلمة) ، فالتصوف عند الصوفية العرفانية تتطلب جهدا معرفيا وزهديا وليست إلهاما يحل بالمتصوف².

1. المدرسة الغزالية. (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م)

1.1. تعريف الإمام الغزالي. هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غزالة من قرى طوس)، عرف بحجة الإسلام، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس، بخراسان)، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام ومصر، وعاد إلى بلده، من كتبه "إحياء علوم الدين" و "تهافت الفلاسفة" و "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" و "فضائح الباطنية قسم منه، ويعرف بالمستظهري، وبفضائح المعتزلة وكتاب "منهاج العابدين، قيل هو آخر تأليفه³.

1 - أنظر بونابي ، عصر التصوف في المغرب الأوسط ، ج1 ص ص 192-226.

2 - محمد شوقي زيان: التصوف، العرفان ، الكنان : غرلة في المصطلح وقفزة في الرؤية، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد 1 ، العدد 1 ، 14 جوان 2018م. ص ص 8-40.

3 - الزركلي، المرجع السابق، ج7 ص 22.

كان الغزالي فيلسوفا وبرر اهتمامه بالفلسفة قائلاً ((ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام وبعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم.. فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب.. ثم لم أزل أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطلّعت على ما فيه من خداع، وتلبس وتحقيق وتخيل، واطلاعاً لم أشك فيه))¹.

أخذ الغزالي الطريقة عن الشيخ الصوفي الشيخ الفضل بن محمد الفارمذي الذي تأثر به كثيراً حتى ترك المدرسة النظامية واتجه للعزلة والسفر مدة إحدى عشرة سنة ، جاء في المنتظم ((وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية، وقال: إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمذي، وامثلت ما كان يشير به من وظائف العبادات واستدامة الذكر إلى أن جزت تلك العقبات وتكلفت تلك المشاق وما حصلت ما كنت أطلبه))².

قسم كتاب إحياء علوم الدين إلى أربعة أجزاء بعد مقدمة عن العلم والتفريق بين أنواعه، وعادة ما يستفتح الربع بشرح واستدلال بآية من القرآن الكريم ثم بحديث ثم بأخبار الصحابة ثم بأخبار الصالحين:

- ربع العبادات كالصلاة والزكاة والحج موضحاً لبعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بأثر العبادات هذه على قلب الإنسان

- ربع العادات كالزواج والعمل لاكتساب الرزق
- ربع المهلكات كالغرور والتكبر وحب الدنيا والجاه والإفراط شهوتي الطعام والجنس وجعلهما باباً واحداً
- ربع المنجيات بدأه بالتوبة وأن حقيقتها معرفة الله ثم الخجل منه فالندم والاعتذار، ثم تكلم عن الصبر والخوف من الله وعبادة التفكير³.

1 - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: (ت 505هـ): المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الجلال ، تحقيق، تحقيق محمد محمد أبو ليلة ونور شيف عبد الرحيم رفعت ، جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية 2001، مصر. ص 178.

2 - ابن الجوزي محمد جمال الدين بن علي (ت 597هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1412 هـ - 1992 م. ج 17 ص 125، 126.

3 - أنظر فهرس كتاب إحياء علوم الدين ، ط1، دار المنهج للنشر والتوزيع جدة المملكة العربية السعودية 1432هـ/2011م.

2.1. تأثير المغاربة بتصوف الامام الغزالي. تأثر المغاربة بكتاب إحياء علوم الدين وأدخله بعضهم إلى حواضرها في الأندلس وكل بلاد المغرب ، ففي المغرب الأوسط في أوائل القرن 6 هـ دخل كتاب الإحياء قلعة بني حماد وتلمسان وبجاية . من العوامل الفاعلة في نشأة هذا التيار في المغرب الأوسط حلول كثير من الوافدين من المغرب الأقصى والأندلس إلى المغرب الأوسط في العهد الحمادي، تجنباً لمضايقات المرابطين لهم في بلدانهم. نذكر من هؤلاء القادمين الى المغرب الأوسط أبا الفضل بن النحوي الوزري التلمساني المجتهد، النحوي، الناضم، والفقهاء (ت 513هـ) انتقل الى سجلماسة ثم من فاس إلى القلعة، قال الشاعر المؤرخ محمد بن علي بن حماد: "كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا" وقال ابن الزيات: " ولما عاد أبو الفضل على القلعة (قلعة بني حماد) أخذ نفسه بالتقشف، وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف، وكانت جيبته الى ركبته". وهو صاحب "المنفرجة" التي مطلعها: " اشتدي أزمة تنفرجي"¹، وقال المؤرخ أحمد بابا التنبكي ((كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين مجاب الدعوة حاضراً مع الله في غالب أمره، له اعتقاد تام بإحياء الغزالي))²؛ لما أحرق المرابطون كتاب الغزالي بفتوى فقهاء الأندلس والمغرب الأقصى انتصر ابن النحوي لأبي حامد الغزالي وكتب الى السلطان في ذلك ، وكان قد نسخ الإحياء في ثلاثين جزءاً فاذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزء³ .

من طلبة ابن النحوي أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن الرامة (ت 567هـ) مختصر كتاب الإحياء⁴، قال الذهبي في تاريخ الاسلام((وكان عاكفا على تاليف الغزالي))⁵ ، قال ابن الأبار أنه كان

1 - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان 1400 هـ - 1980 م. ص: 329.

2 - أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكي السوداني (ت 1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، 2000 م. ص: 623.

3 - ابن الزيات التادلي يوسف بن يحيى: التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، ط2 ، مكتبة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1997 المملكة المغربية. ص ص 95- 97.

4 - ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص ص 24، 25 .

5 - أنظر عبد الملك الأنصاري ، الذيل والتكملة ، ج 5 ص ص 217-220 وج 5 ص 353 والذهبي ، تاريخ الاسلام تاريخ الإسلام، ج 39 ص 296.

"عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمّى باليسيط محصلا لنكتته وله تواليف منها "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" وكتاب "التقصي عن فوائد التّقصي" وكتاب "التّبيين في شرح التّلقين" وغير ذلك"¹.

3.1. التيار الغزالي بتلمسان. من أعلم التيار الغزالي بتلمسان عبد السلام التونسي (ت 512هـ) وأبو عبد الله محمد محيو بن محيو الهواري، نقل ابن الزيات أن أبا عبد الله محمد ابن محيو اشترى الاحياء في سوق تلمسان بأربعة دراهم فقال له عبد السلام التونسي ((هذا سفر من كتاب الاحياء للغزالي وقد أرشدك مولاك الى ما تنظر فيه فنسخت الكتاب وعكفت عليه حتى حفظته))، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ت 565هـ/1198م مولده بمرسيه وتوفي بشاطبة استقر مدة بتلمسان بين سنتي 521-526 ناشرا مصنفات الامام الغزالي².

من الجيل الثاني محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الأنصاري الخرجي تلمساني أندلسي الأصل (النصف الثاني من القرن 6هـ) جمع بين الطريقة الغزالية وطريقة الجنيد³.

4.1. التيار الغزالي ببجاية والمسيلىة. أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت نحو 580هـ ، قال القاضي الفقيه الغبريني ((ومنهم الشيخ الفقيه الفاضل، العلم العامل العابد، المحقق المتقن المحصل المجتهد، الإمام أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن))⁴، له المصنفات ذكرها الغبريني منها "التذكرة في أصول علم الدين" وكتاب في علم التذكير سماه "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب "الإحياء" وبه سمي أبا حامد الصغير⁵.

5.1. التيار الغزالي بالأندلس . محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري (468 - 453 هـ / 1076 - 1148 م): من أهل إشبيلية لقي أبا حامد الغزالي ببغداد وغيره من العلماء

1 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج2 ص 158.

2 - أنظر ترجمته عند ابن الأبار التكملة ج2 ص 35 والمقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: (ت: 1041هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق إحسان عباس ، ط1، دار صادر- بيروت - لبنان 1997. ج2 ص ص 158، 160، 159

3 بو نابي، المرجع السابق، ص ص 195، 196

4 - الغبريني، المصدر السابق، ص 33.

5 - نفسه .

والأدباء فأخذ عنهم وتفقه عندهم، و عند عودته الى الأندلس لم يثبت أنه أدخل كتاب الإحياء و لم يظهر دعوة للغزالية¹، و يوسف بن محمد الأندلسي، صاحب الامام الغزالي وروى عنه دون أن يجز له²، و موسى بن هارون التجيبي من أهل وشقة، لما حجّ اتجه الى دمشق فسمع من أبي حامد الغزالي "بداية الهداية" و "الرسالة القدسية" وأجازَه في تصانيفه سنة 490هـ وكتب له بذلك³ والأمير المرابطي ميمون بن ياسين الذي يكون قد جلب بعض الكتب م رحلته المشرقية منها صحيح البخاري و مسلم و لم يذكر ابن الأبار كتاب الإحياء بينما يقول الباحث محمد بن الشريفة نقلا عن ابن القطان أنه جلب معه كتاب الإحياء⁴، و عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي المقرئ، يعرف بالألشي حجّ سنة 497 هـ و سمع بمكة تصانيف الغزالي إجازة، قال ابن الأبار في التكملة ((وَكَانَ زَاهِدًا فَاضِلًا مَتَّصِفًا بِمَجَابِ الدَّعْوَةِ وَخَرَجَ مِنَ الْمَرِيَةِ)) و لم يذكر انتماءه للمدرسة الغزالية رغم لقائه الغزالي⁵.

2. المدرسة المدينية. (ت 594هـ).

- 1.2. تعريف أبي مدين شعيب. وصف القاضي المؤرخ الغبريني الشيخ أبا مدين شعيب بن الحسين الأندلسي الغوثي قائلا ((الشيخ الفقيه المحقق، الواصل القطب، شيخ مشائخ الإسلام في عصره، إمام العبّاد والزهاد وخاصة الخلاء من فضلاء العبّاد))⁶، تأثر تكوين أبي مدين شعيب بثلاثة منابع صوفية
- الأندلسية في مقدمتها مدرسة ابن العريف ومتصوفة المغرب الأقصى منهم أبي عبد الدقاق كان يقول ((أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين علم التصوف))⁷ وأبي الحسن السلاوي⁸

1 - ابن بشكوال، الصلة، ص 558.

2 - ابن الأبار، التكملة ج 4 ص 209.

3 - نفس المصدر، ج ص 174.

4 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2 ص 196 ومحمد بن شريفة: الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه ت 530هـ، دعوة الحق 1423هـ/2002م. ص 77.

5 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3 ص 25.

6 - الغبريني عنوان الدراية، ص 22.

7 - ابن قنفذ القسنطيني ت 810هـ/1408م: أنس لفقيه وعز الحقيير، اعتنى بتصحيحه ونشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب 1965. ص 27.

8 - بونابي عصر المتصوفة، ج 1 ص 198.

- بفاس تأثر بالشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم من حاملتي تصوف ابن العريف¹ ، وعلي بن خلف بن غالب الأنصاري من شلب من مريدي ابن العريف² ، وفي جبل إروجان جنوب مكناسة أبي يعزى يلنور بن سليمان (ت 572) الذي كان يثني عليه الغزالي ويعظمه بين أصحابه³ ،
- بالمشرق اشتهر لقاءه مع الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني (ت 560هـ)، التقى به في الحرم المكي وألبسه الخرقة⁴.

عمل أبو مدين شعيب الغوثي على نشر منهجه الصوفي في بجاية التي دخلها في عهد الخليفة الموحي يعقوب المنصور وجعلها مركز إشعاع صوفي بامتياز في النصف الثاني من القرن 8 هـ ، ومكث فيها مدة خمس عشرة سنة إلى أن استدعاه هذا الأخير إلى مراكش وفي الطريق توفي بعباد بتلمسان سنة 594 هـ .

2.2. منهج التصوف المديني . يقوم المنهج التصوفي عند الشيخ أبي مدين شعيب على الجمع بين التصوف الشرقي و التصوف الأندلسي، فالتصوف الشرقي يمثل الحارث المحاسبي القائم على مراقبة القلوب و تصوف القشيري والغزالي الذي يعمل على الوصول إلى المعرفة اليقينية عن طريق الكشف، أما التصوف الأندلسي فتقدمه آراء ابن العريف التي تدعو إلى الزهد في كل شيء ما عدا التقرب إلى الله ، يقول الباحث طاهر بونابي ((ثم صهر أفكار هذه المدارس و طقوسها الصوفية في بوتقة فكرية و سلوكية واحدة))⁵؛ نقل ابن قنفذ أن الشيخ أبا مدين شعيب لبس الخرقة من يد ابن حرزهم بالمغرب الأقصى، ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي، واتصل اللباس اتصال المصافحة⁶.

خلال مكوثه ببجاية مدة خمس عشرة سنة قسّم نشاطه إلى قسمين :

-
- 1 - ابن الزيات التشوف ، ص 320 و 21. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1424 هـ - 2003 م. ج1 ص. 234
 - 2 - محمّد العربي بن يوسف الفاسي (988-1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد <https://www.noor-book.com/-pdf> ص. 165.
 - 3 - أحمد بابا بن أحمد التنبكي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 194 .
 - 4 - الفاسي محمد العربي بن يوسف (988-1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ، تحقيق الشريف محمّد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد - <https://www.noor-book.com/> ص. 165
 - 5 بو نابي، المرجع السابق، ج1 ص ص 201، 202.
 - 6 - المقرئ، المصدر السابق ، ج 5 ص 242.

- القسم الأول نظري الغرض منه إرشاد المريدين الى أصول الطريقة الصوفية وكان يدرس في مسجد أبي زكريا الزواوي وبيته معتمدا على رسالة القشيري والاحياء وغيرها من المصنفات الصوفية.
 - القسم الثاني تطبيقي يشرف فيه على أعمال المجاهدة كالذكر والصلاة وغيرها¹.
- كان أبو مدين يرفض شكليات التصوف كحمل ركوة (إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء) والعصا في سياحته، كما نفر من حياة التقشف التي كان عليها المتصوفة كالتخلي عن ملذات الحياة وزينتها والملابس الفاخرة والتعطر بالطيب².
- حصر الصوفي أبو مدين شعيب الزهد في تطهير القلوب من حب الدنيا وملئه بحب الخالق، وكان لهذا المنحى الصوفي أبلغ لأثر على المريدين في بجاية وتلمسان منهم عائلة المرازقة والطريقة الشاذلية.
- 3.2. المدينيون ببجاية.** أبو عبد الله محمد بن علي القلعي الصنهاجي (ت 628 هـ) وأبو علي منصور الملياني بلال بن عبد الله الحبشي (ت 590 هـ). قال القاضي الغبريني ((من كبراء الأئمة وفضلائهم، قرأ ببلده بالقلعة وكانت حاضرة علم، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه))³.
- من مرافقيه من بجاية إلى تلمسان عبد الرحمن بن أبي بكر المقرئ ، وعبد الله بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681 هـ) وأبو مسعود بن عريف أخذ عن أبي مدين واستقر بشلف ويعقوب بن عمران البويوسفي جد ابن قنفذ للأمم (ت 717 هـ) ، عاد إلى فرجيوة وأسس الزاوية المالارية.
- أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصوفي لا زمه ثلاثين سنة وكان معه بالعباد وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذته والشيخ أبو عمر الصباغ والشيخ أبو موسى الحلاج كان يلجج الصوف بفاس خرج من المغرب الى بجاية وأبو عبد الله محمد بن علي والشيخ أبو مسعود بن عريف من جبال الشلف برض تلمسان - ربما يقصد الونشريس⁴.

1- بو نابي، المرجع السابق، ج1 ص ص 202.

2 - نفس المرجع، ج1 ص ص 202.

3 - الغبريني ، المرجع السابق، ص 218 .

4- ابن قنفذ القسنطيني (ت 81 هـ/ 1408 م): أنس لفقيه وعز الحقيير، اعتنى بتصحيحه ونشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب 1965.. ص ص 36 - 40

الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم نحو خمسة عشر عاما(ت590هـ) الشيخ أبي مدين، كساه أبو مدين الخرقه ، قال محمد بن مرزوق: وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسائة¹.

4.2. من أخذ التصوف على الطريقة المدينية بتلمسان. يذكر الباحث طاهر بونابي أن المرازقة تلقوا الطريقة الغزالية عن الشيخ بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين شعيب فتوارثوا خدمة ضريح الشيخ أبي مدين². كثير من مريدي أبي مدين شعيب توزعوا في بلاد المغرب منهم من استقر بالمغرب الأوسط كأتباع لزاوية الملارية في فرجوة التي أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسف³ وزاوية بشلف استقر بها الشيخ أبو مسعود بن عريف⁴.

3. المدرسة الماخرية .

1.3. تعريف المدرسة الماخرية . تنسب هذه المدرسة للشيخ أبي محمد صالح بن ينصار بن غفيان الدكالي الماخرى (550 - 631 هـ). والمتواتر عند أهل المغرب أنه من عشيرة بني حسن فخذ من أفخاذ بني نصر بني ماكر بجنوب المغرب الأقصى⁵.

لقد أثنى أصحاب المناقب على زهده منهم ابن الزيات في صدر كتاب التشوف وابن قنفذ في أنس الفقير والشيخ محمد عبد الحق بن إسماعيل البادي في كتاب المقصد ونسبوا له كرامات ، وكان ممن أخذوا عن الشيخ أبي مدين شعيب قدرا من طريقته الصوفية⁶.

2.3. شيوخ أبي محمد الماخرى. أخذ العلم والتصوف عن شيخه عبد الرزاق الجزولي ثم أرسله الى بجاية الى الشيخ أبي مدين شعيب ثم أرسله أبو مدين الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد⁷.

1 - المقري، المصدر السابق ، ج5 ص 242 .

2 - بونابي، المرجع السابق ، ص209.

3 - ابن قنفذ، أنس الفقير، ص115.

4 - أنظر في تصنيف مريدي الشيخ أبي مدين شعيب ، بونابي، ص ص 208- 201.

5 - الزركلي، ج3 ص179

6 - الكانوني العبدى محمد بن أحمد: البدر اللائح والمتجر الراج في مآثر آل أبي محمد صالح ، ط1، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر الرباط 2011. ص ص 14 ، 15.

7 - نفس المرجع ، ص 11.

3.3. من مريدي أبي محمد الماجري . منهم الإمام أبو الحسن علي سعيد الرجرجي شارح المدونة المسماة "منهاج التحصيل في شرح ما للائمة من تأويل في حضرة سيدنا وقدوتنا شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أبو محمد صالح الدكالي المراكشي (ت 601 هـ)¹، وأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم لازم الشيخ الماجري في رباط آسفي مدة أربع سنوات ثم نزل ببجاية فأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد الغبريني (ت 704 هـ) ثم انتقل الى قلعة بني حماد وهناك صار أحد أقطاب الطريقة².

4.3. انشاء الرباطات على طريق الحج من المغرب الأقصى. كان محمد صالح بن ينصارن من العاملين على تذليل عقبات الرحلة إلى الحج بعدما انتشرت في أيامه الشكوى من وعورة الطرق، حتى قيل "إن الحج ساقط عن أهل المغرب" فسعى لذلك بإنشاء الزوايا في بلاد إفريقية والمغرب والمشرق حتى بلغت نحو 64 زاوية منتشرة من آسفي بجنوب المغرب الأقصى إلى الحجاز معمورة بالأشخاص والمريدين، مهمتها تسهيل الحج والسير بالحجاج في الأماكن الموحشة والوعرة ، ولحفيدة أحمد بن إبراهيم الماجري، كتاب (المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح)³.

4. المدرسة الشاذلية.

1.4. تعريف أبي الحسن الشاذلي . تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الغماري (591 - 656 هـ) ، تلقى التصوف عن أتباع أبي مدين شعيب منهم الشيخ محمد عبد السلام بن مشيش بجمال غمارة والشيخ محمد بن حرازم (633 هـ)⁴ والشيخ أبي سعيد خليفة بن أحمد الباجي بتونس⁵ .

2.4. تصوف الشيخ أبي الحسن الشاذلي. أخذ أبو الحسن الشاذلي بجوانب كثيرة من تصوف المدرسة المدينية كالمداومة على القيام والصيام دون الأخذ بما اعتاد عليه كثير من المتصوفة من جنوح إلى التقشف في المأكل والملبس والمركب⁶.

1 - نفس المرجع ، ص 15

2 - الغبريني، المرجع السابق ، ص 123 وبو نابي، المرجع السابق ، ، ص 220.

3 - الكانوني، المرجع السابق ، ص 15

4 - ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ج 1 ص 266.

5 - الكانوني، المرجع السابق، ص ص 195- 197 .

6 - تفاصيل أخرى عن بو نابي، المرجع السابق ، ص ص 221-227.

- يجب على معتق الشاذلية الإقبال على التوبة، والإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع، والسماع في اصطلاح الصوفيين
- السماع في الاصطلاح الصوفي هو سماع القرآن الكريم أو قصائد الشعر بنغمة مؤثرة على الصوفي، ويوصل السماع الحاضرين حتى تصل أحوالهم النفسية الى الوجد الذي عرفه القشيري بأنه ما يصادف قلب السامع ويرد عليه بلا تعمد وتكلف الى درجة الحزن والخوف والشوق والبكاء والغشية، وما شابه ذلك، وعند فرق صوفية الطرب والرقص أو تقطيع الثياب¹ ولهذه الألفاظ معانٍ والأفعال.
- لا يأخذ الشاذليون علم القرآن والسنة إلا عن طريق شيخ الطريقة أو المري أو المرشد، وطاعتهم لشيخهم مطلقة².

3.4. انتشار الطريقة الشاذلية.

1.3.4. فرع إفريقية. تسربت الشاذلية الى بجاية عن طريق الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي (ت 696هـ/1287م)³، ومن رجال الطريقة في إفريقية الشيخ عبد الغني المزوغي كان من أصحاب الإمام الشاذلي⁴، والشيخ أبو العزائم ماضي ابن سلطان⁵، والمفتي الفقيه الحافظ والإمام أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني الإمام الجامع الأعظم ببجاية بعد الإمام الغبريني، قال المؤرخ ابن سالم مخلوف ((شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ وأستاذ الأساتذة وقُدوة الجهابذة الفقيه الحافظ للمذهب النظائر المعمر ملحق الصغار بالكبار. كان إليه المفزع في الفتوى. أخذ عن ابن عرفة، لازمه نحواً من أربعين عاماً وأجازه إجازة عامة كما أجازه غالب شيوخه وابن مرزوق الجدّ وأبو الحسن البطرين لازمه وأخذ عنه القراءات السبع وكتبها كثيرة وأحزاب

1 - أنظر في معاني السماع، رزقي بن عويمر: السماع الصوفي وتجلياته الوجودية، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، العدد 4، جانفي 2014م ص 9 فما بعدها.

2 - الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع 1420هـ. ج1 ص280.

3- ترجمته في كتاب عنوان الدراية ذكر من شيوخه بمصر الرشيد بن عوف والشيخ عز الدين ابن عبد السلام ولم يذكر الشيخ أبا الحسن الشاذلي، الغبريني، المصدر السابق، ص 205.

4 - ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1 ص 275، 276.

5 - نفس المصدر، ج1 ص 295.

الإمام الشاذلي وهو أخذها عن الشيخ ماضي ابن سلطان وهو عن الإمام الشاذلي¹، والشيخ أبو عبد الله محمد ابن الحافظ أبي العباس البطرني الأنصاري التونسي وصفه ابن سالم مخلوف بالفقيه المحدث والراوية المقرئ المجاب الدعوة، أخذ عن والده وعن القطب ماضي ابن سلطان تلميذ أبي الحسن جميع أحزابه في الذكر الصوفي²، وشاعر يعرف بأبي علي يونس أبو علي يونس (ت 690هـ).

2.3.4. من مريدي الشيخ أبي الحسن الطريقة الشاذلية في مصر. أبو العباس أحمد بن عمر المرسى الأنصاري، أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي ولازمه وكان خليفته على الطريقة، وعن أبي العباس أحمد المرسى جماعة منهم تاج الدين بن عطاء الله والشيخ ياقوت الحبشي توفي سنة 683 هـ بالإسكندرية سنة 683 هـ، وقبره بقي معروف يتبرك به³.

الاستنتاج.

طبع التيار الغزالي والمديني النشاط الصوفي بالغرب الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين وتأثرت باقي التيارات الصوفية كالماجرية والشاذلية بالمدرستين امتد تأثير المدرسة الشاذلية الى مصر بينما برز على نشاط الماجريين الاتجاه الى العمل الاجتماعي بإقامة الزوايا على طريق الحج انطلاقا من المغرب الأقصى.

1 - نفس المصدر، ج 1 ص 352.

2 - نفس المصدر، ج 1 ص 326.

3 - نفس المصدر، ج 1 ص 269.

المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب

(الحرالية ، الشاذلية، السبعينية)

المقدمة.

سنتناول في هذه المحاضرة التيارات الصوفية الفلسفية الباطنية، سنعرض في هذا السياق المدرسة الحرالية في بجاية والمدرسة الشاذلية في تلمسان ومدرسة وحدة الوجود المتأثرة بتصوف ابن عربي بتلمسان¹.

1.المدرسة الحرالية أو المدرسة الباطنية الاشراقية في بلاد المغرب والمشرق.

1.1.تعريف الحرالي (ت636هـ) توفي بالشام . هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحراليّ التجيبي وحرالة من أعمال مُرسية (ت 638 هـ /1241م) ولد ونشأ في مراكش ثم رحل الى المشرق، استوطن بجاية ثم عاد إلى مصر التي أخرج منها وتوفي في حماة (بسورية)².

2.1. مشايخ الحرالي. اتسعت دائرة علم أبي الحسن الحرالي بما أخذه من علوم عن أعداد كبيرة من الشيوخ في الأندلس والمشرق؛ من مشايخه بالأندلس أبو الحسن بن خروف، وأبو الحجاج بن نمر وغيرهما¹، ولما رحل إلى المشرق لقي الصوفي شهاب الدين السهروردي (ت580هـ) وأبا الحسن ابن سينا وأخذ منهما².

1- قسم الباحث طاهر بونابي التصوف الفلسفي الى أربع مدارس هي وهي التيار الحرالي و تيار الوحدة المطلقة التي تضم الشاذلية في تلمسان و السبعينية في بجاية ، و تيار وحدة الوجود و المدرسة الباطنية التي تفرع متصوفوها من التيار الغزالي و مدرسة ابن العريف هذا التيار يبدو أنه بقي يميل أكثر الى شيوخه العرفانيين مع بعض الخروج التي التصوف الفلسفي و قد أدرجنا هم ضمن متصوفة بجاية المتأثرين بابن العريف و تلميذه ابن برجان، المتأثر بتصوف أبي بكر بن عربي ، و لقد اخترت هذا التقسيم المنهجي لتقديم فهم عام لهذه التيارات الصوفية التي تداخلت و تشعبت أفكارها . لمزيد من التفاصيل حول مدرسة التصوف الفلسفي في المغرب الأوسط أنظر بونابي، المرجع السابق ، ج 1 ص ص 228-257.

2 - الزركلي، المرجع السابق ،ج4ص 254 وأنظر مختصر ترجمته في كتاب محمّد بن شريفة: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير توفي 638هـ،سلسلة تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.ص 9.

اشتهر الحرالي بعلو كعبه في التفسير³، وصفه الحميدي في شجرة النور الزكية "بالإمام العالم الزاهد المجاب الدعوة كثير صاحب الكرامات"، كان من أعلم الفقهاء بالمذهب المالكي متقنا لعلوم كثيرة من العلوم لقي كبار المشايخ شرقاً وغرباً منهم أبو عبد الله القرطبي إمام الحرم الشريف العز بن عبد السلام ووقع معه خلاف في بعض المسائل⁴، وأما الصوفي أبو محمد عبد الحق ابن سبعين فقد أثنى عليه في بعض كتبه⁵.

3.1. فلسفة الحرالي الصوفية. تأثر التصوف الفلسفي عند أبي الحسن الحرالي بالصوفي شهاب الدين السهروردي (ت 580هـ) وأبي الحسن ابن سينا عند رحلته المشرقية الأولى، وسار على منوال هذا التصوف الذي يوصل صاحبه إلى حالة "شروق الإلهية" فيرى الله ويطلع على أسرارهِ ، ولا يبلغ المتعبد هذه الحالة بواسطة العقل وإنما بالمجاهدات وأنواع الرياضات الشاقة على نفس المتعبد ، "ثم يرتقي إلى مرحلة السكينة، ثم في الأخير مرحلة النيل التي تصبح فيها ذات الصوفي مرآة عاكسة للألوهية، فيكون حين مشاهدته لذاته مشاهداً لله"⁶.

قال الذهبي أن الحرالي تكلم في علم الحروف والأعداد ، واستخرج من قراءته وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس⁷.

4.1. مؤلفات الحرالي. ألّف الحرالي في مختلف العلوم من بينها التصوف نذكر منها "اللب المقفل على فهم القرآن المنزل" في التفسير قال ابن حجر((جعله قوانين كقوانين أصول الفقه))، وكتاب "الوافي في الفرائض ، قال ابن حجر العسقلاني((جعله قوانين كقوانين أصول الفقه))، وكتاب " تفهيم معاني الحروف " وكتاب "

1 - وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، ط1، مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، 1424 هـ - 2003 م. ج2 ص 1561.

2 - بو نابي، المرجع السابق، ج1، ص 234.

3 - الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ج2 ص 1561.

4 - ابن سالم مخلوف، المصدر السابق، ج1 ص 260.

5 - نفس المصدر ، ج1 ص 187.

6 - بو نابي، المرجع السابق، ج1، ص 234، 235، 236.

7 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج16 ص 309.

الإيمان التام بمحمد عليه السلام » و " السر المكتوم في مخاطبة النجوم " ¹ وكتاب " الوصية لسالك طريق الصوفية " ².

5.1. طلبة الحرالي. طبع الفقيه الصوفي أبو الحسن الحرالي الحياة العلمية أينما حلّ في المشرق وبجاية خاصة مدة مكوثه بالمدينة وبلاد الشام ، بما كان يقدمه من دروس في مختلف العلوم النقلية والعقلية منها التصوف والفلسفة يلقيها على طلابه المريدن، قال الغبريني في وصفه علو منازل طلبته في التحصيل العلمي والإتقان ((فمن وصفه بالقضاء رُقي إليه ، ومن خصّه بالتدريس والفتيا أظهر عليه ، ومن خصّه بالزهد واستجابة الدعوة عرف ذلك منه، هذا في أصحابه ببجاية وغيرها)) ³.

من هذه أشهر الأعلام التي أخذت عن الشيخ الحرالي القاضي الفقيه أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي(ت 662هـ/1264م) ⁴، والقاضي المتصوف محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري (675هـ/1285م) ⁵، والفقيه، الأصولي من أهل التصوف الفلسفي أبو الحسن علي ابن عمران بن موسى الملياني (ت بعد 670هـ/1271م) ⁶، والفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد بن علي القصري (القرن 7هـ) أحد خواص الشيخ ⁷ ، والفقيه المحدث أبو زكريا يحيى بن أبي الحسن اللفتني (القرن 7هـ) ⁸، و الشيخ الصوفي أبو زكريا يحيى بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي ⁹، و من طلبته محمد بن إبراهيم القبسي السلاوي، الفقيه، الصوفي، نزيل تونس، المعروف بخديم المشايخ لكثرة من خدم منهم، أصله من سلا بالمغرب الأقصى (كان حياً

1 - الزركلي، المرجع السابق: ج4 ص256. ج4 ص256.

2 - محمد محفوظ(ت 1408 هـ/1487م): تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1994. ج5 ص ص 235، 236.

3- الغبريني ، المصدر السابق ، ص 151 ، 152.

4. الغبريني، نفس المصدر، ص175.

5- قال الغبريني((كان بارعا في عدة علوم، الفقه والفرائض وأصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف، والأدبية، والحساب والخط)). الغبريني، نفس المصدر، ص 57.

6 - نفس المصدر، ص 227.

7 - نفس المصدر، ص 186.

8 - نفس المصدر ، ص 260.

9 - قال الغبريني ((له تأليفا حسنا في "شرح أسماء الله الحسنى" وله في التصوف "تقايد" كثيرة، وله نظم حسن وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية))، نفس المصدر، ص 104.

684 هـ)، واختصّ منهم بخدمة الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرّالي له كتاب في "كرامات شيخه الحرّالي التي رآها"¹. وأبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف: القاضي وأبو بكر بن محرز وأبي العباس الليثاني وأبي زيد اليزناسي وغيرهم وعنه أبو العباس الغبريني وغيره تولى قضاء². والإمام العالم أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري البجائي، وأخذ عن الحرّالي الأستاذ النحوي اللغوي والشاعر أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي بن ميمون القلعي، أخذ عن أبي الحسن الحرّالي وأبي بكر بن محرز وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم، وعنه أبو العباس الغبريني وغيره. ألف الموضح في النحو وحدائق العيون في تنقيح القانون ونشر الخفي في مشكلات أبي علي. توفي في بجاية سنة 673 هـ³.

لقد أنشأ أبو الحسن الحرّالي من هذه النخبة من أهل العلم مدرسة صوفية قائمة على نظرية الإشراق الصوفي، المستوحاة من نظرية الفيلسوف الطيب ابن سينا (ت428هـ/1037م) والفقيه الشافعي الصوفي شهاب الدين السهروردي (632 هـ / 1234 م) في وضع المراتب التي يقطعها السالك حتى يصل إلى ما يسميه بشروق الأنوار الإلهية، مضيفا إليها منحى القائلين بوحدة الوجود⁴، وهو ما يجمع الغبريني معناه بقوله ((كان محصلا لأنواع العلوم الظاهرة والباطنية))⁵.

2. الصوفية الشاذلية بتلمسان وبجاية (أو صوفية الوحدة المطلقة)

1.2. تعريف أبي عبد الله الشاذلي المعروف بالحلوي (ت أوائل القرن 7هـ/13م). أورد ترجمة له أبو زكريا يحيى ابن خلدون في فصل تعدد من أنجبته تلمسان أو استقر بها من العلماء و الصالحين، فعرفه بالشيخ الولي أبي عبد الله الشاذلي المعروف بالحلوي نزل تلمسان، وأنه من كبار العبّاد العارفين، قدم من مرسية، وأنه ((كان يبيع من طبق عود في يده حلواء للصبيان الصغار يضيف أبو إسحاق ابن المرأة فتفرست فيه مخائل القوم فاتبعته فإذا من يمر به من الصبيان ينفرون له فيدور و يشطح و ربما أنشد مقتطفات متفقات الألفاظ في

1 - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 5 ص 235، 236.

2 - ابن سالم مخلوف، المصدر السابق، ج 1 ص 289.

3 - ابن سالم مخلوف، نفس المصدر، ج 1 ص 287.

4 - أنظر بو نابي، المرجع السابق، ص 89، 90، 91.

5 - الغبريني، المصدر السابق، 156.

معنى المحبة فلم أشط أنه من الصالحين ثم أخذ في ثمن شيء من حلوائه كسرة خبز سميد فتصدق بها على يتيم ذي أطمار بعد علمه بحاجته فقلت في نفسي هذا ولي مورعن¹.
اعتقاده بوحدة الوجود التي أشار إليها في بعض أشعاره مثل قوله:

إِذْ نَطَقَ الْوُجُودُ أَصَاخَ قَوْمٍ بِأَذَانٍ إِلَى نُطْقِ الْوُجُودِ
وَذَاكَ النُّطْقُ لَيْسَ بِهِ انْعِجَامٌ وَلَكِنْ جَلَّ عَنْ فَهْمِ الْبَلِيدِ
فَكُنْ قَطْنًا تُنَادِي مِنْ قَرِيبٍ وَلَا تَكُ مَنْ يُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ²

ومعنى هذه الأبيات أن الله إذا صار للعبد سمع وبصر، يسمع به ويبصر به ، فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق.

جاء في البستان لابن مريم ((غلب عليه هذا الاسم: إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين، وأضاف ابن مريم وكان قاضيا بإشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن ثم فرّ بنفسه من القضاء ، وتخفى بتلمسان في زي المجانين وأخبرني الشيخ أبو الحسين الميورقي أن أبا عبد الله الحلوي كان من أعيان العبّاد ومات بتلمسان وقبره خارج باي علي وقبره الآن هناك مزار مجاب الدعوة وله مناقب كثيرة لا تحصى³)).

2.2. من مريدي أبي عبد الله الشوزي. بتلمسان إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 610هـ) ، قال ابن الخطيب في ميله الى العامة واجتذابهم بالألعاب النادرة و ((وكان صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يلهي بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلعا على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها بعض الحلبة... وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضي العدل المسمى الفاضل، أبو بكر بن المرباط، رحمه الله... وتبرأ منه من كان سعى في انتقاله إلى

1 - يحيى بن أبي بكر ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تحقيق ألفريد بال ، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م. ج1 ص ص 65 ، 66.

2 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج 23 ص 316.

3 - ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر 1326هـ/1908م. ص ص 68 ، 70.

مرسية، والله أعلم بغيبه وضميره))، من مؤلفاته شرحه كتاب الإرشاد للصوفي أبي المعالي الجويني، وشرح الأسماء الحسنى. ، وشرح محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف¹.

أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني (ت 708هـ)، ومن الأندلس (لورقة) المتكلم محمد بن علي الأنصاري، (ت 580هـ)، قال الأنصاري في الذيل والتكملة ((وكان متكلمًا داعيةً إلى اعتقاد مذهب الشوذبي ناصرًا له حاملاً عليه، وعنه انتشر واشتهر))، وقد صنّف في التفسير وفي العقائد على الطريقة، منها " العقيدتان: الكبرى والصغرى"².

أخذ الشوذبية من ابن الدهاق عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكي، جاء في الإحاطة ((وأخذ التحقيق عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقة الشوذبية))³، والشيخ الفقيه، العالم المحصل المحقق أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمال (عاش في القرن السابع الهجري) من أصحاب الشيخ أبي إسحاق ابن البرّ المعروف بابن دهاق له علم بأصول الدين وأصول الفقه والتصوف، من كبار أهل العلم⁴.

بقيت الطريقة الشوذبية قليلة الأتباع في بلاد المغرب ولما قام السلطان المريني أبو عنان إلى تلمسان سنة 754/1353م قام ببناء زاوية ومدرسة وجامع بقرب من ضريح الحلوي⁵.

3. المدرسة السبعينية.

1.3. تعريف ابن سبعين. ينتسب هذا التيار لعبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين (613 - 669 هـ) توفي بمكة، درس العربية والآداب بالأندلس وتلقى التصوف على الطريقة الشوذبية بمرسيه، كما نقله لسان الدين ابن الخطيب ((وأخذ التحقيق عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقة الشوذبية))⁶. دخل سبته ثم

1 - لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ - ج1 ص 168.

2 - الناصري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج4 ص 479.

3 - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4 ص 21.

4 - الغبريني، المصدر السابق، ص 225.

5 - بونابي، المرجع السابق، ج1 ص 247.

6 - ابن الخطيب، المصدر السابق ص 4.

بجاية في العقد الثالث من النصف الاول من القرن 7هـ يرافقه أتباعه منهم أبو الحسن علي الششتري (ت 668هـ)، ارتحل ابن سبعين من بجاية الى مكة واستقر بها الى أن توفي¹.

2.3. تصوف ابن سبعين ومريديه . تتلخص فكرة الوجود عند ابن سبعين وتلميذه الششتري فيما يلي:

- يحدث حلول الله في الذات الانسانية بعد تجريد النفس بواسطة المجاهدات حتى تصير حواس المتصوف وأفعاله مسيرة من طرف الله بواسطة نور يقذفه في عقل الانسان².
- نظرية الوحدة المطلقة عند ابن سبعين تقوم على فكرة محورية على أن وجود واحد وهو وجود الله فقط، أما الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد (أي الله) من غير زيادة عليه لأن الله هو أصل الكائنات³. تبرز عقيدة ابن سبعين في وحدة الوجود من خلال تلميذه أبي الحسن الششتري ، نقل الغبريني أنه كان يوما ببلدة "مالقة" ، فقرأ يوما طالب قوله تعالى: **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾**⁴ فردّ الششتري على الطالب بقول شعر جاء فيه :

انظر للفظ أنا يا مغرما فيه من حيث نظرنا لعل تدريه
خل ادخارك لا تفجر بعارية لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة أن شئت تعرفه جرد معانيه⁵

3.3. آراء حول وحدة الوجود ومعتنقيها من الصوفية. يقول الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن سبعين ((كان صوفيًا على قاعدة زُهد الفلاسفة وتَصَوُّفهم. وله كلام كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة، نسأل الله السلامة في الدين))⁶. ويقول ابن حجر في لسان الميزان ((عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين... واشتهر بالزهد والسلوك وكانت له بلاغة وبراعة وتفنن في العلوم وكثر أتباعه وله مقالة في تصوف الاتحادية))⁷.

1 - أنظر المقري ، المصدر السابق، ج2 ص 196 والغبريني ص 237.

2 - بونابي، المرجع السابق، ص251 ، أنظر في فكرة وحدة الوجود الملحق رقم 10 لابن خلدون

3 - نبيلة بن عزوز:، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 01، العدد 02، جوان 2019. ص 345.

4 - سورة طه ، الآية 14.

5 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 241.

6 - الذهبي ،تاريخ الإسلام ،ج15 ص 168.

7 - ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج5 ص 63.

بتحفظ حول اعتقاد ابن سبعين يقول المقري ((وقال غير واحد: إن أغراض النَّاس فيه متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم المرهق المكفر، ومنهم المقلّد المعظم الموقّر، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد، والنفرة والانتقاد، ما لم يقع لغيره، والله تعالى أعلم بحقيقة أمره))¹ .

يرى ابن خلدون أن سلف معتقدي وحدة الوجود كانوا من الإسماعليتين فيقول ((تَمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصّحف منه مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربيّ وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والتّجم الإسرائيليّ في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعليّة))² ،

الاستنتاج.

تبين في الأخير أن مدن بجاية وتلمسان وقلعة حماد كانت من أهم مراكز الإشعاع الصوفي في المغرب الأوسط والغرب الإسلامي.

ظهر بقوة تأثير المدرسة الغزالية ثم المدنية في ازدهار التصوف في الغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط ، خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين وامتداده في الفترة الحديثة.

ظهر التيار الصوفي الفلسفي في المشرق وفي الأندلس بداية ، ثم هاجر صوفية هذا الاتجاه إلى بلاد المغرب منذ القرن 6 هـ/12 م ونزلوا مدن تلمسان وبجاية ومراكش وسبتة وفاس .

1 - المقري ، المصدر السابق ، ج2 ص 196.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج1 ص 619

الخاتمة

يبقى وضع تعريف شامل متفق عليه للتصوف أمرا صعبا، يرجعه ابن خلدون لعاملين:

الأول أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية التقنين العلمي بل وصف أحوالهم الخاصة.

الثاني أن كلمة تصوف في حد ذاتها اكتسبت مع الوقت معاني جديدة ميز بعضها وتعريفات أبعدتها عن مفهوم الزهد الذي كان عليه الصحابة سلفا من أعلام الأمة.

أطلق أصحاب التراجم خاصة على بعض من تميزوا بالزهد في المجتمع بعض التسميات كالعارف و المتعبد ، و كان ذلك من بؤادر انتقال جمع من الزهاد الى حياة الانقطاع و التفرغ للنواصك التعبدية و التقشف في الملبس و المشرب و المرقد و المسكن تمهيدا لظهور التصوف في القرن الثالث الهجري ، ويمكن اعتبار بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (ت بعد سنة 150هـ) من تلاميذ العالم التابعي الحسن البصري (ت 110 هـ) الذين بنوا دويرة للعبادة، ثم الفقيه ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون (ت 245هـ) من رواد التصوف في إفريقية و مصر و المشرق عموما الذي أخذ عنه أخذ سهل بن عبد الله التستري أحد أعلام الصوفية المتكلمين.

ظهر أن التصوف منذ نهاية القرن الثالث الهجري هو امتداد في طبيعته السلوكية الى حياة الزهد التي كان عليها الصحابة والتابعون في القرون الثلاثة الأولى ، فصار التصوف مع مرور الوقت تيارات سلوكية قائمة لها شيوخها الذين صاروا قدوة لجماهير المريدين، قبل أن تتشعب المناهج والطرق والأغراض .

يعد الزهد والتصوف في الغرب الاسلامي امتدادا للزهد والتصوف المشرقي، وحدث التفاعل الأول بقدم أعداد من الصحابة والتابعين الذين كان الزهد صفة ملازمة لحياتهم اليومية .

كانت الرحلة بين أقطار البلاد الاسلامية من أهم العوامل المؤثرة في نشأة النزعة الزهدية عند المغاربة ثم ظهور التصوف وتطوره. مثلما كان لها تأثير مباشر في رسم الخريطة المذهبية في الاصول والفروع .

اتخذ كثير من الزهاد من الرباطات مواطنًا للاعتكاف، فجمعوا فيها بين الجهاد وحراسة الثغور وطلب العلم وممارسة مختلف النشاطات اليومية، مع الانقطاع عن المجتمع لفترات طويلة والمداومة على النواصك التعبدية .

سار علماء بلاد المغرب والأندلس مثل نظرائهم في المشرق هل منهج الصحابة والتابعين في الالتزام بقيم الاسلام الأولى في الجمع بين العلم والعمل وزهد المعاش، فنالوا احترام وتقدير المجتمع ورجال الدولة .

على نفس الطريق سار الأئمة الإباضيون في اتباع سنة شيوخهم متقيدين بحياة الزهد دون توظيف مصطلح التصوف، واكتفى أصحاب التراجم الاباضية بذكر زهد وورع الأئمة والمشائخ الإباضية، وما ينسب لهم من كرامات .

كان للظروف السياسية من فتن داخلية والحروب وجنح فئات من المجتمع الى الحياة السهلة والميوعة والترف دور في نمو التيار الزهدي في المجتمع الإسلامي في المشرق والمغرب ، واتجه كثير من العامة والخاصة الى الفرار بالنفس الى حياة العزلة والانقباض.

كان للأفكار المستوردة من فلسفات معتقدات الأمم التي كانت تعايش المسلمين أثر أكيد على بعض التيارات الصوفية ذات التوجه الكلامي والفلسفي والباطني .

حلَّ بالأندلس أعداد كبير من أهل العلم والمجاهدين الذين نوهت كتب التراجم بزهدهم وتعبدتهم وورعهم واقبالهم في نفس الوقت على طلب العلم والمراقبة في الثغور .

ميز صوفية العهود الأولى في الغرب الاسلامي مثل نظيرتها في المشرق الجنوح الفردي الى الانقطاع والعزلة ومجاهدة النفس واتخاذ أساليب الوعظ والترغيب والتذكير. فكان أقرب الى منهاج الأولين في الزهد، فأطلقت عليه أعداد غير قليلة من علماء المشرق والمغرب تسمية التصوف السني تميزا له عن التصوف الفلسفي والباطني والتصوف الذي خالطته كثير من الطقوس المبتدعة والمستوردة الذي تشعب الى تيارات ومدارس .

تعد الألبيرية والمعوزية من الجماعات الأولى للتصوف في الأندلس في القرن الرابع الهجري وقد جمعتا بين العلم الشرعي والتصوف ، والملاحظ كذلك أن هاتين الجماعتين الصوفيتين لم تتعرضا لمضايقات السلطة ، قد يكون السبب ابتعادها عن التيارات الصوفية المعاصرة لها ذات البعد الفلسفي والباطني والكلامي مثل المسرية ومدرسة ابن العريف وابن برجان.

تعد مدرسة إين مسرة في القرن الثالث الهجري أول مدرسة صوفية أخذت بمنهج الفلاسفة ، ورغم الحصار الذي تعرضت له إلا أنها عرفت رواجاً حتى بعد وفاة ابن مسرة وغرباً ومشرقاً ويبدو أن الأفكار الصوفية لابن مسرة قد تبنتها أجيال من صوفي الباطن في الازمنة اللاحقة كما لاحظناه في فكر ابن قسي وابن عربي وابن عربي وغيرهم من صوفية وحدة الوجود والحلول والطريقة الشاذلية .

ميز التوجه العام لحركة التصوف في بلاد المغرب والأندلس أنها أخذت في بدايتها طريق الزهد القائم على النصوص النقلية والاهتمام بترقية السلوك، ثم اتجهت الى التصوف الفردي ثم برز مع تواصل هذا النوع من التصوف القائم على المجاهدات والوعظ والتذكير والرغيب والترهيب والميل الخلوة والانقطاع الى تيارات كانت بدايتها مدرسة ابن مسرة ذات التوجه الفلسفي ثم قدوم أفكار المدرسة الغزالية العرفانية ثم مدرسة ابن العريف ثم تصوف ابن قسي ذو التوجه الفلسفي والثوري السياسي ضد المرابطين والموحدين .

ظهر التيار الصوفي الفلسفي في المشرق وفي الأندلس بداية ، ثم هاجر صوفية هذا الاتجاه إلى بلاد المغرب منذ القرن 6 هـ/12م فاستقر بعض المنتسبين له بمدن تلمسان وبجاية ومراكش .

كان الصوفية في بلاد الغرب الاسلامي من أهل العلم في مختلف العلوم الشرعية ، فكان منهم المحدثون والفقهاء وأغلبهم من المالكية والأشاعرة، وفيهم من اشتغل بالقضاء والفتوى والتدريس.

تبين أن مدن بجاية وتلمسان وقلعة حماد كانت من أهم مراكز الإشعاع الصوفي في المغرب الأوسط والغرب الإسلامي.

ظهر بقوة تأثير المدرسة الغزالية على التصوف في الغرب الإسلامي والمغرب الأوسط، ابتداء من نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، ثم المدينة خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين ثم مدارس متأثرة في بعض مناهجها بفكر الغزالي أو التصوف المديني مثل الماجرية والشاذلية. ولاحظنا حضور التصوف الباطني متمثلا في مدارس الحراية ، الشاذلية والسبعينية.

الملاحق

الملحق رقم 01: حوار بين العالم الزاهد شقران بن علي الفرضي ذي النون

ثوبان بن إبراهيم الاخميمي المصري¹

((حكى الفقيه أبو العباس الأبياني قال: لما قدم ذو النون المصري على شقران، وكان شقران لا يخرج من داره إلا من الجمعة إلى الجمعة قال: فلما خرج قلت له: قد جئت من بلد بعيد أطلب معروفك، فأخذ حصاة من الأرض فجعلها في يدي فإذا هي جوهرة، فقلت: ما لهذا جئت، قال: فلم؟ قلت: لموعظة، قال: كل من كدّ يمينك ممّا عرق فيه جبينك، ولا تأكل بدينك، فإن ضعف يقينك فاسأل الله يعينك. وقد رويت هذه الحكاية على طرق أكمل من هذه الطريقة فمنها ما حدّث مروان بن نصر المتعبد قال: بلغ ذا النون المصري أنّ بالمغرب رجلا يقال له شقران، يخرج من أربعين يوما إلى مثلها، فأتاه من مصر وسأل عنه، فقليل له الساعة كما دخل. ولا يخرج إلى أربعين يوما. فأقام ذو النون المصري على بابه أربعين يوما، فلما تمّت خرج فلما رأى ذا النون، قال له: أمن المشرق أنت؟ قال: نعم، قال: ما الذي أقدمك [بلادنا؟ قال: بلغني خبرك فأتيت إليك لتعظني لعل الله ينفعني بكلامك، فقال له: يا فتى سح في الأرض واستعن بأكل عشبها على أداء الفرض، ولا تقبل من أحد صلة ولا فرسنا فإن ضعف يقينك فاسأل من غدا عليه العرض يعينك ثم دخل فأقمت على بابه أربعين يوما فلما خرج بعد انقضائها قال له ما انتفعت من الموعظة بشيء قلت: أردت الزيادة، قال: كل من كدّ يمينك ممّا عرق فيه جبينك ولا تأكل بدينك، فإن خفت أن يضعف يقينك، فاستعن بالله يعينك، واعلم أنّ لي ولك غدا موقفا بين يدي الله عزّ وجل ولا تشك من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم دخل فأقمت على بابه أربعين يوما فلما خرج قال: ما انتفعت من الموعظة بشيء قلت: أردت الزيادة، قال: لست من الزيادة ولكن يا فتى ارض بما قسم الله لك تكن أزهد الناس واتبع ما أمرك الله به تكن من أعبد الناس وانتهى عما نهاك الله عنه تكن من أروع الناس ثم همّ بالدخول فجذبت ثوبه فقلت: زدني منك زادا ينفعني الله به. قال: فرمى بين يدي شيئا كهيئة الدينار أو كهيئة الدرهم فنظرت فإذا هو اسم من أسماء الله تعالى، فما سألت الله عزّ وجل به شيئا إلا أعطاني إياه. قال أبو محمد الحسن بن أبي العباس الأجدابي يذكر أن ذا النون وجد في الرقعة التي دفعها إليه شقران يا دائم الثبات يا مخرج النبات يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات . ولشقران كلام جليل مع ذي النون المصري يشتمل على معارف جمّة وحكم رائقة ومواعظ ووصايا، يطول بها الكتاب))

1 - الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج 1 ص ص 235، 236

ملحق رقم 02: نظرة ابن خلدون للصوفية المتأخرة¹

((ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحسّ وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بالوهمية الأئمة وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب والإبدال وكأنّه يحاكي مذهب الرافضة في لإمام والنقباء. وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم، حتّى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أنّ عليّا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصريّ وأخذ عليه العهد بالترام الطريقة. واتّصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم. ولا يعلم هذا عن عليّ من وجه صحيح. ولم تكن هذه الطريقة خاصّة بعليّ كرم الله وجهه بل الصحابة كلّهم أسوة في طريق الهدى وفي تخصيص هذا بعليّ دونهم رائحة من التشيع قويّة يفهم منها ومن غيرها من القوم دخلهم في التشيع وانخراطهم في سلكه. وظهر منهم أيضا القول بالقطب وامتلات كتب الإسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطميّ المنتظر. وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقّنه بعضهم عن بعض وكأنّه مبنيّ على أصول واهية من الفريقين وربّما يستدلّ بعضهم بكلام المنجمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا. وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطميّ، ابن العربيّ، الحاتميّ في كتاب (عناء مغرب) وابن قسيّ في كتاب (خلع النعلين) وعبد الحقّ بن سبعين وابن أبي واصل [2] تلميذه في شرحه لكتاب (خلع النعلين). وأكثر كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال وربّما يصرّحون في الأقلّ أو يصرّح مفسّرو كلامهم. وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واصل أنّ النبوة بها ظهر الحقّ والهدى بعد الضلال والعمى وأنّها تعقبها الخلافة ثمّ يعقب الخلافة الملك ثمّ يعود تجرّا وتكبّرا وباطلا.

قالوا: ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الأمور إلى ما كانت وجب أن يحيا أمر النبوة والحقّ بالولاية ثمّ بخلافتها ثمّ يعقبها الدّجل مكان الملك والتّسلّط ثمّ يعود الكفر بحاله. يشيرون بهذا لما وقع من شأن النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة. هذه ثلاث مراتب. وكذلك الولاية التي هي لهذا الفاطميّ والدّجل بعدها كناية عن خروج الدّجال على أثره والكفر من بعد ذلك)).

1 - ابن خلدون المقدمة ص 402.

الملحق رقم 03: تحليل ابن خلدون لوحدة الوجود عند الصوفيين الباطنيين¹

((وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني» وهذا الكمال في الإيجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة المحمدية. وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية. ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الأفلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب. هذا في عالم الرتبة فإذا تجلت فهي في عالم الفتق. ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر إلى تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل. وربما أنكر بظاهر الشرع.

هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريعه، يزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيله بها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها. والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها. ثم إن المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب، كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولائها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الإنسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الإنسانية وزيادة. وكذا الذات الروحانية والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الإلهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها وأحاطت بها من كل وجه، لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكُل واحد وهو نفس الذات الإلهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالإنسانية مع الحيوانية.

مع أن المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون إن المريد عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه إلى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لأنه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبينت مراتب أهل هذه الطريقة ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والتجم الإسرائيلي في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية))

¹ - ابن خلدون المقدمة، ص 607.

ملحق رقم 04: مقدمة رسالة الاعتبار لأبن مسرة بتصرف¹

رسالة الاعتبار للفقير أبي عبد الله الجبلي رضي الله عنه وأرضاه

سلام عليك ورحمة الله، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه، وأسأله السداد في جميع الأمور.

ذكرت - رحمك الله - أنك قرأت في بعض الكتب أنه لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى أعلى إلا مثل ما دامت عليه الأشياء من الأعلى إلى الأسفل، وتطلعت إلى تحقيق ذلك وتمثيله.

اعلم - وفقنا الله وإياك - أن أول ذلك أن الله عز وجل وإنما جعل لعبادة العقول التي هي نور من نوره، ليصروا بها أمره، ويعرفوا بها قدره فشهدوا لله بما يشهد به لنفسه، وشهدت له به ملائكته، وأولو العلم من خلقه ثم جعل - عز وجل - كل ما خلق من سمائه وأرضه آيات دالات عليه، معرفة بربوبيته، وصفاته الحسنى، فالعالم كله كتاب، حروفه كلامه، يقرأه المستبصرون بعيان الفكرة على حسب أبصارهم وسعة اعتبارهم، وأبصار قلوبهم تقلب في الأعاجيب الظاهرة المكنونة المكشوفة لمن رأى المحجوبة عن تلهي وتولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا فهي مبلغ علمه، ومجال فكرته، ومنتهى همته، فلا يجاوز بصره ما لحظه بعينه. قال الله - عز وجل - ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء...﴾ فتبين لك أن كل ما خلق من شيء موضوع للفكرة، ومطلب للدلالة. وقال في أولياته المستبصرين الذين أثنى عليهم: ﴿... وتتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾.

فالعالم وخلائقه كلها وآياته درج يتصعد فيها المعتبرون إلى ما في العلا من آيات الله الكبرى. والمترقى إنما يترقى من الأسفل إلى الأعلى فهم يترقون بتصعد العقول من مقامهم سفلاً إلى ما انتهت إليه من صفات الأنبياء من الآيات العلا. فإذا فكروا أبصروا، وإذا أبصروا وجدوا الحق واحداً على ما حكى الرسل عليهم السلام، وعلى ما وصفوا به الحق عن الله، وأنه متفق متصادق، لا اختلاف فيه من حيث ما أنيته، فهو هو.

ولا يصل بشر إلى معرفة علم الكتاب حتى يقرن الخبر بالاعتبار، ويحقق السماع بالاستبصار - جعلنا الله وإياكم من الموقنين المستبصرين.

فأما تمثيل هذا الاستدلال من أسفل العالم إلى أعلاه فله أمثلة كثيرة، ووجوه شتى كلها تفضي إلى مخرج واحد، فمن ذلك أن ينظر الناظر إلى إحدى الثلاث: الحيوان أو النبات أو الموت. فنظر إلى النبات فرأى عوداً موثقاً لا حياة به، ونظر إلى حركة الغذاء فيه مندفعة إلى أعلاه من أسفله، مفصلة على أقسام، قد غذيت عليها، فلا تعدوها من ضروب مختلفة، عود وقشر وورقة ونواة وثمره ونواة. ونظر إلى ذلك الغذاء فإذا هو صاعد علواً، وأخذ عرضاً

¹ عويضة، ص ص 77-81

فقال : إن طبيعة الماء تتحرك سفلاً ، فليست هذه الحركة المتصاعدة
عن طبيعة ، فوجب ثم شيء آخر أزال الماء عن طبيعته التي
هي ضده ، فلم نجد شيئاً يتحرك بطبعه علواً إلا النار ، فسلم أن
الماء نار رفعت الماء على ضد حركة الماء .

ملحق رقم 05: المرأة المتصوفة التلمسانية بفاس¹

ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية . وتبركت بها وما زالت على ما تقرر عندي ، تخصني بالدعاء في ظهر الغيب . وكان قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله المقرئ ، رحمه الله ، يزورها ويسعى في قضاء حوائجها . وكانت على زهد وتقشف وعبادة و ورع . وكان قوتها في العام من غزل بديها من نصف وسق شرعي من الزرع وهو ثمنه ونصف بالكيل الجديد ببلدنا . لا تقبل من أحد شيئا . و ما زالت تقيم يدارنا أياما متوالية ، لا تأكل شيئا . وكانت تقيم عندنا الشهر ونحوه على يسير من قوتها و ما أكلت طعاما لنا قط . وهذه عاداتها مع غيرنا . وكان الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الوهاب المعلم لكتاب الله تعالى هو الذي يكتب لها لوحها و يبادر به . وكانت تنقطع عن مخالطة الناس في رجب وشعبان ورمضان ولا تساكن أحدا ولا يراها في زمن انقطاعها أحد من الناس ولا تكلمه . وإذا احتاجت الى شيء كالزيت تضع البطة عند الباب والدرهم بازائها فيبادر اليها به . وكذلك غيره . وقصدها في بعض أشهر انقطاعها ، فوقفت الي و كلمتني ومنعتني من الدخول وقالت لي : « لولا مكانتك عندي يا أحمد ما كلمتك و ما فعلته مع غيرك . » وأراد سيد الشرفاء و جليس الأمراء الفقيه العالم العلم الصدر الشيخ الشهير أبو القاسم الشريف التلمساني زيارتها فأبت وقالت : « يعظم علي أن يقصدني شريف . » وأيضا « هو ممن يوالي أهل الدنيا . » وسألها مرة عما تكلف به . فقالت : « حسكة أخلل بها أسناني . » فانصرفت ووجدت في طريقي حملا من الحسك بازاء كوشة . ففرحت بتيسيره وأخذت منه نحو الثلاث ورجعت اليها فقالت لي : « من أين هذا ؟ » فأعلمتها فقالت لي : « و هلا استأذنت صاحبها ؟ ردها اليه ! » فرجعت الى صاحب الحسك وطلبتة في أن يسمح . فسمح وقال لي « لاحظ لهذا (١) . » فرجعت اليها وأعلمتها فقالت لي : « ما كان فيه هذا لا حاجة لي به ، سر في حفظ الله تعالى . » فانصرفت وعلمت أن قصدها أن تطلعني على آداب دقيقة و تنبهني على ما أنتفع به . ورفعت اليها مرة كعيكات ورغبتها في القبول فقبلت ذلك مني فكنت بعد ذلك اذا زرتها تقدم لي كعكا ولا أدري من أين هو . فقدمت لي يوما واحدة من الكعك وتبسمت وقالت لي : « هذا آخر كعيكاتك ولا أكلت الا متاعك . » وكأنها تحذرني من مثل ذلك ، نفعا الله بها . و رأيتها مرة عليها جبة صوف وعلى رأسها طرف من تليس

¹ - ابن قنفذ ، ص ص 80 ، 81 ، 82 .

معقود تحت ذقنها و شيب رأسها ظاهر على جبهتها و لوحها فيه من
سورة البقرة بيدها . قالت لي : « كيف يكون حالي يا ولدي بين يدي ربي ! »
وأخذت في البكاء . كانت تقول : « أريد أن أموت بعباد تلمسان . » وتكرر
ذلك . فلما قربت منيتها يسر الله لها في السفر الى تلمسان . فسافرت
وتوفيت بها بعد وصولها اليها بأيام ، رحمها الله ونفع بها .

ملحق رقم 06: حول أقوال أبي مدين شعيب في السلوك الصوفي¹

جاء في عنوان الدراية قوله ((عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية فأیما قلب رآه مؤثرا له حفظه من الطوراق والمحن ومتعاضلات الفتن. وقال: إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته. وقال: من رأيته يدعى مع الله حالا لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره. وقال: من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم. وقال: من عرف الله استفاد منه في اليقظة والنوم. وقال: لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن جمعت له أربعة، الزهد والعلم والتوكل واليقين. وقال: اجعل الصبر زادك، والرضى مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك. وقال: من تعلق بدعوى الأمانى لم يفارق اللتواني. وقال: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل. وقال: جعل الله تعالى قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس وقلوب العارفين محلا للذكر والاستئناس: وقال: لا ينفع مع الكبر عمل ولا يضر مع التواضع بطالة. وقال: الفترة الاشتغال بالخلق عن الخالق. وقال: أهل الصدق قليل في أهل الصلاح. وقال من لم يجد في قلبه زاجرا فهو خراب. وقال: توكل على الله حتى يكون الغالب على ذكرك، فإن الخلق لم يغبوا عنك شيئا. وقال: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة. وقال: من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه. وقال: من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه. وقال: الدعوى من رعونة النفس وقال: أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء. وقال: من خدم الصالحين ارتفع بخدمته. وقال: من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه. وقال: ثمرة التصوف تسليم كلك وقال من ترك التدبير والاختيار طاب عيشه. وقال: مروءتك إعطاؤك عن تقصير غيرك. وقال: الغيبة عن الحق خيبة. وقال: التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب. وقال: المهمل في الأحوال لا يصلح لبساط الحق. وقال: كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة. وقال: ما عرف الحق من لم يؤثره وما أطاعه من لم يشكره. وقال المروءة موافقة الإخوان فيما لم يحظره العلم عليك. وقال: قوة العارف معروفة وقوة الغير فمعتادة مألوفة. وقال: من أراد الصفاء فليلزم الوفاء. وقال: أساس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد. وقال: التدارك بالبلاء تحقيق بالرضى. وقال: الفقر أمانة على التوحيد ودلالة على التفريد [وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه]. وقال: الزهد فريضة وفضيلة وقربة، فالفرض في الحرام، والفضل في التشابه، والقربة في الحلال. وقال: من قطع موصولا بربه قطع به. وقال: من شغل مشغولا بربه أدركه المقت [في الوقت] (يا نفس هذه موعظة لك أن اتعظت). وقال: من استكن إلى غير الله بسرته نزع الله الرحمة من قلوبهم عليه وأليسه لباس الطمع فيهم. وقال: علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق. وقال: احذر محبة المبتدعين فهو أبقي على دينك واحذر محبة النساء فهو أبقي على قلبك))

¹ الغبريني، ص 30، 31، 32.

ملحق رقم 07: مقتبس من كتاب خواص الحروف وحقائقها وأصولها¹

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم - أرشدنا وإياك - إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة ، وظهر

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم - أرشدنا وإياك - إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة ، وظهر

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم - أرشدنا وإياك - إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة^(٢)، وظهر

وهذه الأربعة عشر حرفاً الباطنة وإن كانت تكررت في أوائل السور. فالمعنى نبين علته إن شاء الله وبه نتأيد.

القول على الحروف وتأليفها وعدة

ما تألف منها والتنبيه على باطنها

اعلم - أرشدنا الله وإياك لطاعته - أن لهذه الأحرف التي في مبادئ السور أسراراً غامضة، وحكمة تعلن كمالها بعد أربعة عشر يوماً ثم ظهوره ثم ينقبض ويرجع إليه. وهو مصداق قوله تعالى: «وإليه يرجع الأمر كله» وذلك بعد أربعة عشر إلى آخره. وذلك إذا تركت النفس الإمداد لهذا الجسم بما استفادته من نور العقل، وأقبلت على العقل، انقبض الأمر كله ورجع علم كل شيء إليه، وفسد العالم، وثم أمر الدنيا، وكذلك جعل - تعالى اسمه - النفس الناطقة كالقمر، وجعل العقل كالشمس، فهذه النفس الناطقة التي في الإنسان تستمد من نور العقل كما يستمد من ضياء الشمس، ويظهر ذلك العلم الذي استفادته بثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر.

وكذلك يعبر الإنسان عما في ضميره بثمانية وعشرين حرفاً. وفي هذا دليل على أن العالم الصغير جزء من العالم الكبير فإفهم هذا

ونذيره، فهو من دقيق العلم الذي قد عدم أثره، وانقطع خبره.

وعن اعتبار القمر مع الشمس تظهر لك النفخة في الصور وبعث الأنفس كما بدأها أول مرة، إنه «يبدأ الخلق ثم يعيده».

1 - عويضة، ص ص 56، 57، 58.

قائمة المصادر والمراجع

• قائمة المصادر.

1. القرآن الكريم
2. ابن أبي يعلى أبو الحسين ، محمد بن محمد (ت 526هـ) : طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي ، (درط) ، دار المعرفة بيروت (د ت ن).
3. ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (585 . 658هـ / 1199 . 1260م) : الحلة السيرة ، تحقيق حسن مؤنس ، ط 2 ، دار المعارف القاهرة 1985.
- == = = = التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، (د ر ط) ، دار الفكر للطباعة - لبنان 1415هـ - 1995م.
5. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ - 1994 م .
6. ابن الجوزي محمد جمال الدين بن علي (ت 597هـ) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1412 هـ - 1992 م .
7. ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة ، ط 2 ، دار الجيل بيروت 1416هـ / 1996م .
8. ابن الصغير (القرن 3 هجري) أخبار الأمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بهاز ، (د ر ط) ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان (د ت ن).
9. ابن العماد الحنبلي أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت 1406 هـ - 1986 م .
10. ابن الفريسي عبد الله بن محمد (ت 403هـ) : تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1408 هـ - 1988 م .

11. ابن قنفذ القسنطيني ت 810هـ/1408م: أنس لفقيه وعز الحقير، اعتنى بتصحيحه ونشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب 1965.
12. ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت 804هـ) : طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1415 هـ - 1994 م.
13. ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي 1374 هـ / 1955م.
14. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت 728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م.
- ===== مجموعة الرسائل والمسائل، تعليق السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي (د ت ن).
===== الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (د رط)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق 1405 هـ / 1985 م.
17. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ): لسان الميزان، ط2، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان 1390هـ / 1971م.
- ===== فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق وتخریج عبد العزيز بن عبد الله بن بازو محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت 1379هـ/2004م.
19. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (732 - 808 هـ / 1332 - 1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت 1408 هـ / 1988م.
20. ابن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ط1، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م .
21. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان و مشاهير الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ، مكتبة الوقفية عن [Archive.org](https://waqfeya.net/book.php?bid=1539) 16/6/2022

22. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1424 هـ - 2003 م.
23. ابن سعيد علي بن موسى (ت 685هـ): المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيف، ط3، دار المعارف - القاهرة 1955.
24. ابن صلاح عثمان بن عبد الرحمن (ت 643هـ): طبقات الفقهاء الشافعية، ط1، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت 1992 م.
25. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1415 هـ / 1995 م.
26. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد، (ت 799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، (د ر ط)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، المكتبة الوقفية ، تاريخ الاطلاع، 2022/10/25، <https://waqfeya.net/book.php?bid=7081>
27. ابن قنفذ القسنطيني (ت 81هـ/1408م): أنس لفقيرو عز الحقيرو، اعتنى بتصحيحه ونشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب 1965.
28. ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/1311): لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت 1414.
29. الأنصاري محمد بن محمد بن عبد الملك (ت 703 هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2012 م.
30. البخاري محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): صحيح الأدب المفرد للإمام البخارين تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط4، دار الصديق للنشر والتوزيع 1418 هـ / 1997 م.
31. البقاعي إبراهيم بن عمر (ت 885هـ): مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، تحقيق عبد الرحمن الوكيل عباس أحمد الباز - مكة المكرمة (د ت ن).
32. البيروني محمد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط1 دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الهند 1377هـ/1958 م.

33. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ): شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة وتخرّيج مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند 1423 هـ / 2003 م.
34. التادلي ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 617هـ/1220م): التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب بالربط المملكة المغربية 1997م.
35. الترمذي محمد بن عيسى بن سَؤرة (ت 279هـ/892م): الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، ط1، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة 1413 هـ / 1993 م.
36. التنبكي أحمد بابا بن أحمد التكروري السوداني (ت 1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا 2000.
37. الجرجاني علي بن محمد (ت 816هـ/1413م): كتاب التعريفات، تحقيق وصححه جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان 1403 هـ / 1983 م.
38. أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي الجياني، التّفْزي: البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت 1420 هـ.
39. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت 1067 هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مكتبة إريكا، إستانبول - تركيا 2010 م.
40. ابن الخطيب محمد بن عبد الله لسان الدين (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1424 هـ .
41. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1422 هـ - 2002 م.
- == = تاريخ بغداد وذيلوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت 1417 هـ.
- == = تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1422 هـ / 2002 م.
44. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية (د م ن) 1430 هـ - 2009 م.

45. الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 699 هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت 1426 هـ.
46. الدرجيني أحمد بن سعيد (ت 670 هـ): طبقات المشائخ بالمغرب، ط1، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة 1394 هـ/1974 م.
47. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1419 هـ-1998 م.
48. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة 1405 هـ / 1985 م.
49. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1413 هـ - 1993 م.
- ==== سير أعلام النبلاء، (د ر ط)، دار الحديث القاهرة 1427 هـ-2006 م.
51. الرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت 606 هـ/1209 م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (د ر ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية بيروت 1982.
52. الرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت 606 هـ/1209 م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (د ر ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية بيروت 1982.
53. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538 هـ/1143 م): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1407 هـ.
54. السلاوي أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي (1250 - 1315 هـ / 1835 - 1897 م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء المملكة المغربية 1418 هـ/1997 م.
55. الششتري أبو الحسن علي بن عبد الله النميري : ديوان أبي الحسن الششتري، ط1، تحقيق علي سامي النشار دار المعارف الإسكندرية 1960.
56. الشماخي أحمد بن سعيد : تحقيق أحمد سعود السبالي، ط2، وزارة شؤون التراث القومي والثقافة سلطنة عمان 1412 هـ/1992 م.
57. الشوكاني محمد بن علي (ت 1250 هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت (د ت ط).

- == = = = الصورم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، ط1، تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع - صنعاء / اليمن 1411هـ - 1990م.
59. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، (د ر ط) دار إحياء التراث - بيروت وتركبي مصطفى 1420هـ - 2000م.
60. ابن الضحاك أحمد بن عمرو بن مخلد الشيباني (ت 287هـ): كتاب السنّة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، ط1، المكتب الإسلامي (د م ن)، 1400هـ / 1980م.
61. الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ): المعجم الكبير، (ط1)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1415 هـ - 1994 م).
62. ابو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي: طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس (ت 333هـ)، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان. (د ر ط).
63. أبو عروة البصري معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، ، نزيل اليمن (ت 153هـ): الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت 1403 هـ .
64. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د ر ط)، المكتبة العصرية - صيدا لبنان (د ر ط) . عبد الرؤوف زين الدين محمد القاهري (ت 1031هـ): الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، دار ابن كثير دمشق - بيروت (د ت ن).
65. عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت 181هـ): الزهد والرقائق لابن المبارك ، تحقيق وتعليق أحمد فريد، ط1، دار المعارج الدولية للنشر الرياض المملكة العربية السعودية، 1415هـ / 1995م.
66. عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ): تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهي، ط1، دار ابن حزم - بيروت 1416هـ / 1996م.
67. عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1966 - 1970 م.
68. الغبريني أحمد بن أحمد (ت 714هـ): عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية ط2، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979 م.

69. الغزالي أبو حامد الطوسي محمد بن محمد (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م): روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق محمد نجيت، (د رط)، دار النهضة الحديثة بيروت 1900 .
- ===== المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الجلال ،تحقيق، تحقيق محمد محمد أبو ليلة ونور شيف عبد الرحيم رفعت ،جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية 2001، مصر.
- ===== إحياء علوم الدين ،ط1، دار المنهج للنشر والتوزيع جدة المملكة العربية السعودية 1432هـ/2011م.
72. الفاسي محمد العربي بن يوسف (988 - 1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ،تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد. <https://www.noor-book.com/-pdf>
73. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار،(د ر ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. 1416هـ / 1996 م.
74. القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ط1، دار المعارف، القاهرة 1995.
75. الكلاباذي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق (ت 380هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف،(د رط) ، دار الكتب العلمية بيروت،(د رط).
76. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تحقيق محمد المطوي العروسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1414 هـ - 1994 م.
77. المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي ، محيي الدين (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ط1 ، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت 1426هـ /2006م
78. ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر 1326هـ/1908م.

79. المقرئ التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد (1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر - بيروت - لبنان 1997م.
80. المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد العظيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358 هـ / 1939م.
81. أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (د رط) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
82. النيسابوري محمد بن الحسين (ت 412هـ): طبقات الصوفية، ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت 1419هـ 1998م.
- قائمة المراجع.
83. إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة 1424هـ - 2003م.
84. أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ): كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، ط1، المكتب الإسلامي (د م ن)، 1400هـ / 1980م.
85. بالنشيا أنجيل جنثايلث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد 1955.
86. البتيلي محمد بركات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية القاهرة 1992.
87. سيدي موسى محمد الشريف: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6 هـ / 10 هـ / 16/12 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية : 1430-1431هـ / 2009-2010م.
88. بن شريفة محمد: الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه ت 530هـ، دعوة الحق 1423هـ / 2002م.

- = = = = تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير توفي 638هـ، سلسلة تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.
90. الحسيني عبد الحي بن فخر الدين الطالبي (ات1341هـ/1922م): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، ط1، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، 1420 هـ، 1999م.
91. بونابي الطاهر : عصر المتصوفة في بلاد المغرب الأوسط ، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2017.
92. دواد فاطمة الزهراء : التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله ، مجلة حوليات القرآن جامعة مستغانم العدد 01 سنة 2004.
93. الزيري وليد بن أحمد الحسين ، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، ط1، مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، 1424 هـ - 2003 م.
94. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين بيروت لبنان 2002 م.
95. زروق عبد الله حسن : أصول التصوف ، المركز القومي للإنتاج الاسلامي ، أفريل 1994.
96. زيان محمد شوقي: التصوف، العرفان ، الكنان : غريلة في المصطلح وقفرة في الرؤية، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد 1 ، العدد 1 ، 14 جوان 2018م.
97. سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط2، دار الفكر. دمشق - سورية 1408 هـ / 1988 م.
98. الطراونة مبارك محمد بلال: حركة محمد بن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية - المجلد الخامس عشر - العدد الثالث 2015هـ.
99. طيطح نصيرة : ابن مسرة الأندلسي وإشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 08 / العدد: 01 السنة 2021.
100. عبّاس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط1، دار الثقافة - بيروت 1960.

101. العدلون محمد: الإدريسي فلسفة ابن قسي الصوفية: وأثرها على التصوف المتأخر بالمغرب الإسلامي
مجلة حكمة ، تاريخ الاطلاع 24/10/2022، <https://hekmah.org>
102. بن عزوز نبيلة: ابن سبعين وتجربته الصوفية في الأندلس، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 01، العدد 02،
جوان 2019.
103. بن عويمر رزقي: السماع الصوفي وتحليلاته الوجودية، مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ،
العدد 4، جانفي 2014م ص 9 فما بعدها.
104. عويضة كامل محمد : ابن مسرة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف
الزاهد، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1414هـ/1994م.
105. غرميني عبد السلام: المدارس الصوفية المغربية والاندلسية في القرن السادس الهجري، ط1، دار الرشاد
الحديثة 1420هـ/2000م.
106. القرشي أمل عوض الكريم محمد سعيد: أثر فكر ابن عربي في أسس الفلسفة لما بعد الحداثة " وحدة
الوجود، والموقف من العقل " دراسة تحليلية نقدية، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية قسم العلوم
الإسلامية جامعة غرداية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م).
107. الكانوني العبدى محمد بن أحمد: البدر اللائح والمتجر الرابع في مآثر آل أبي محمد صالح
، ط1، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر الرباط 2011.
108. كحالة الدمشقي عمر بن رضا (ت 1408هـ): معجم المؤلفين، (د ر ط) مكتبة المثنى - بيروت، دار
إحياء التراث العربي بيروت (د ت ن).
109. ماسينيون لويس ومصطفى عبد الرزاق: التصوف ، ترجمة إبراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ،
حسن عثمان، ط1 ، دار الكتب اللبناني بيروت 1984.
110. المجددي البركتي محمد عميم الإحسان: التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية بيروت (د ر ط)
111. محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1994.
112. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1417 هـ
1997/م.

113. الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع 1420هـ.

114. نويهض عادل: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، ط3، تحقيق الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان 1409 هـ / 1988 .

فهرس المحاضرات

01	المقدمة
04	المحاضرة رقم 01 : تمهيد وتعريفات.
04	1.تعريف الزهد.
04	1.1.تعريف الزهد لغة.
05	2.1. زهد الصحابة.
06	3.1. بعض مراتب الزهد.
06	2.تعريف الولي والعارف.
06	1.2. تعريف الولي.
07	2.2. معنى العارف بالله تعالى.
08	3.2. تعريف الطريقة.
08	3.تعريف التصوف.
08	1.3. التعريف اللغوي.
08	2.3. هل هناك أصل يوناني للتصوف.
09	3.3. رأي القشيري في هذه التسميات.
09	4.3. تعريفات عن التصوف وأحوال المتصوفة.
12	المحاضرة رقم 02 من الزهد الى التصوف في المشرق.
12	1.الزهد صفة ملازمة للصحابة.
14	2.زهد التابعين.
16	3. ظهور التصوف والطبقة الأولى الذين عدوا من الصوفية.
16	1.3. أول من أظهر التصوف.
16	2.3. ممن ذكروا في هذه الطبقة الأولى من الصوفية.

17	3.3. من الطبقة الثانية من المتصوفة.
20	4. أشهر متصوفة القرنين الخامس والسادس الهجريين في المشرق.
20	1.4. عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني.
22	2.4. أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي.
22	3.4. الحلاج، الحسين بن منصور الصوفي.
23	المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/10م.
23	1. الزهاد التابعين في القرن الثاني بإفريقية.
23	1.1 بعض التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.
24	2.1. العلماء الموصوفون بالزهد في القرن الثاني للهجرة.
25	3.1. زهاد الطبقة الثانية في كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم.
26	2. بواد ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري في إفريقية.
27	3. مكانة الزهاد العلمية والاجتماعية.
34	4. انضمام الزهاد للرباطات وحياتهم فيها.
30	المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العبّاد والمتصوفة.
30	1. العوامل العامة لجنوح طائفة من المجتمع الى الزهد والتصوف مشرقا ومغربا.
30	1.1. طبيعة الإسلام التي تحت على الزهد.
30	2.1. العوامل الاجتماعي.
31	3.1. غياب جيل الصحابة من عوامل ظهور المتصوفة حسب القشيري.
31	4.1. عوامل تزايد حركة الزهد ا ولتصوف في بلاد المغرب.
32	5.1. العامل النفسي .
32	6.1. تأثير النحل الخارجية.
36	المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضيين في بلاد المغرب.
36	1. الزهد عند الإباضيين قبل تأسيس الدولة الرستمية.
37	2. الزهد الإباضي في عهد الدولة الرستمية.
39	3. الزهد الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ وقيام الدولة الفاطمية العبيدية ثم العهد الزييري منذ361هـ.
39	1.3. الزهاد الإباضية من الطبقة الخامسة حسب المؤرخ الدرجيبي .
39	2.3. الزهاد الإباضيين من الطبقة السابعة.
39	3.3. الطبقة الثامنة. منذ العهد الزييري والحمادي ثم الموحيدي.

40	4.3 من الطبقة التاسعة
40	6.3 من الطبقة العاشرة
40	4. ظهور العزابة في القرن الخامس الهجري ومدى اقترابها من مناهج المتصوفة
41	1.4. أصل كلمة العزابة
41	2.4. الحلقة
41	3.4. الختمة
43	المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين.
43	1. أوائل الزهاد في الأندلس المرتحلين إليها.
54	2. الزهاد الاندلسيون والرحلة الى البلاد المغرب والمشرق.
47	المحاضرة رقم 07: من الزهد الى التصوف في الأندلس (القرنين الرابع والخامس الهجريين)...
47	1. تصاعد التيار الزهدي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.
50	2. التيار الصوفي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس.
52	3. التيار الصوفي في الأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين.
54	4. الصوفيون الغزاليون بالأندلس.
55	المحاضرة 08: جماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس. (جماعة التصوف الألبيرية، جماعة التصوف المعوذية)
55	1. أمثلة عن اجتماع الزهاد للذكر والعلم منذ القرن الثاني للهجرة .
55	2. جماعة التصوف الألبيرية.
57	3. الجماعة المعوذية.
59	المحاضرة رقم 09 : التيار الصوفي الفلسفي في الأندلس (مدرسة ابن مسرة)
59	1. مدرسة ابن مسرة 269 - 319 هـ / 931 م.
59	1.1. مولده ونشأته.
59	2.1. آراء ابن مسرة الصوفية.
61	3.1. مؤلفاته وأفكاره الفلسفية والكلامية والصوفية.
62	4.1. موقف الفقهاء المالكية من مدرسة ابن مسرة والمسريرين.
63	5.1. موقف الدولة الأموية من مدرسة ابن مسرة والمسريرين.
63	6.1. كبار مريدي ابن مسرة .
67	محاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبدابة العهد الموحدى بالأندلس.

67	1. مدرسة ابن العريف في الأندلس وامتداداتها في بلاد المغرب 481. 536 هـ / 1088. 1141 م.
67	1.1. تعريف ابن العريف .
68	2.1. تصوف ابن العريف .
69	3.1. موقف الفقهاء من ابن العريف .
69	4.1. أتباع ابن مسرة .
71	2. مدرسة أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن برجان. ت 526 هـ.
71	1.2. تعريف ابن برجان .
71	2.2. تصوف ابن برجان .
72	3.2. أهم مؤلفاته .
73	4.2. موقف الفقهاء والدولة المرابطي من الفلسفة الصوفية لابن برجان .
73	5.2. أتباع ابن برجان .
73	3. أبو القاسم احمد بن القاسم بن قسي م ت 546 هـ / 1151 م. المتصوف السياسي الثوري.
73	1.3. تعريف ابن قسي .
74	2.3. ثورة ابن قسي 539-540 هـ او ثورة المرينيين .
74	3.3. تصوف ابن قسي .
76	4.3. أثر فكر ابن قسي الصوفي .
77	محاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي (558-638 هـ) بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق.
77	1. تعريف ابن عربي ، تعليمه مؤلفاته .
77	1.1. تعريف ابن عربي .
77	2.1. مؤلفاته .
78	2. عموم مذهب محي الدين ابن عربي في التصوف .
78	1.1. تعريف وحدة الوجود .
78	2.2. الناقدون لفكر ابن عربي الصوفي .
80	3.2. المدافعون على تصوف ابن عربي .
82	المحاضرة رقم 12: التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين
82	1. بعض متصوفة بجاية في القرنين 6 و 7 الهجريين .
85	2. بعض متصوفة تلمسان في القرنين 6 و 7 الهجريين التيار الصوفي ببجاية .
88	المحاضرة رقم 13: التيار الصوفي العرفاني في بلاد المغرب والأندلس.
88	1. المدرسة الغزالية. (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م).
88	1.1. تعريف الإمام الغزالي .

90	2.1. تأثر المغاربة بتصوف الامام الغزالي.
91	3.1. التيار الغزالي بتلمسان.
91	4.1. التيار الغزالي بجاية والمسيلة.
91	5.1. التيار الغزال بالأندلس.
92	2. المدرسة المدينية.
92	1.2. تعريف أبي مدين شعيب.
93	2.2. منهج التصوف المديني.
94	3.2. المدينيون ببجاية.
95	4.2. ممن أخذ التصوف على الطريقة المدينية بتلمسان.
95	3. المدرسة الماجرية.
95	1.3. تعريف المدرسة الماجرية.
95	2.3. شيوخ أبي محمد الماجري.
96	3.3. من مريدي أبي محمد الماجري.
96	4.3. انشاء الرباطات على طريق الحج من المغرب الأقصى.
96	4. المدرسة الشاذلية.
96	1.4. تعريف أبي الحسن الشاذلي.
96	2.4. تصوف الشيخ أبي الحسن الشاذلي.
97	3.4. انتشار الطريقة الشاذلية.
99	المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب .
99	1. المدرسة الحرائية أو المدرسة الباطنية الاشر اقية في بلاد المغرب والمشرق.
99	1.1. تعريف الحرائي.
99	2.1. مشايخ الحرائي.
100	3.1. فلسفة الحرائي الصوفية.
100	4.1. مؤلفات الحرائي.
101	5.1. طلبة الحرائي.
102	2. الصوفية الشوذية بتلمسان وبجاية (أو صوفية الوحدة المطلقة).
102	1.2. تعريف أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي(ت أوائل القرن 7هـ/13م).
103	2.2. من مريدي أبي عبد الله الشوذي.
104	3. المدرسة السبعينية.
104	1.3. تعريف ابن سبعين.

105	2.3. تصوف ابن سبيع ومريديه ..
105	3.3. آراء حول وحدة الوجود ومعتنقيها من الصوفية.....
107	الخاتمة.
110	الملاحق
119	قائمة المصادر والمراجع.....
135 -130	فهرس الموضوعات.....